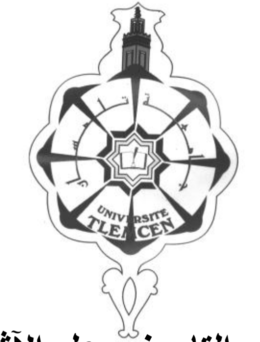
الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة أبي بكر بلقايد
*** تلمسان ***



كلية العلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية

قسم التاريخ وعلم الآثار

شعبة التاريخ

مكانة علماء تلمسان في المجالس العلمية السّلطانية المرينية بفاس ما بين القرنين الثامن والتاسع الهجريين (14- 15م)

مذكرة مقدّمة لنيل شهادة الماجستير في تاريخ المغرب الإسلامي

إعداد الطالبة:
مريم سكاّكو

إشراف الأستاذ الدكتور:
مبخوت بودواية

لجنة المناقشة:

- أ.د عبدلي لخضر	أستاذ التعليم العالي	جامعة تلمسان	رئيسا
- أ.د مبخوت بودواية	أستاذ التعليم العالي	جامعة تلمسان	مشرفا
- د. مكيوي محمد	أستاذ محاضر (أ)	جامعة تلمسان	مناقشا
- د.بن داود نصر الدين	أستاذ محاضر (ب)	جامعة تلمسان	مناقشا

السّنة الجامعية: 1432-1433هـ / 2011- 2012م

شكـــر وعرفـــان

أتوجه بالشكر الجزيل إلى الأستاذ الدكتور مبخوت بودواية الذي قبل الإشراف على هذه المذكرة، ولنصائحه وتوجيهاته طيلة مراحل إنجازها.

كما أشكر الأستاذ نصر الدين بن داود الذي ساعد في الإشراف على مذكرتي، ولمساعداته ونصائحه المشجعة.

والشكر موصول إلى الأستاذ طارق وراد الذي ساعدني كثيرا– جزاه الله خيرا –.

إلى جميع الأساتذة الذين أخذت عنهم طيلة مساري التعليمي، في مقدمتهم أساتذة قسم التاريخ وعلم الآثار جامعة تلمسان ، وأخص بالشكر أعضاء لجنة المناقشة المحترمة.

إلى الأخ إسماعيل الذي أخرج هذا العمل في حلته النهائية

إلى كل من ساعدني من قريب أو بعيد، أوجه الشكر الجزيل ووفق الله الجميع.

إهــداء

إلى الوالدين الكريمين– حفظهما الله –

إلى أخواتي: فاطمة الزهراء وإبتسام وحورية.

إلى أختي الكبرى وزوجها سيدي محمد وابنتهما عائشة.

إلى كل الأهل والأقارب والصديقات خاصة: نوارة، حياة، فاطمة، سميرة...

إلى السيدة فرح بن حميدة وعائلتها الكريمة.

إلى الأستاذة الأخت مريم هاشمي ولها كل شكري وإمتناني.

إلى الأخت حفيظة بن زمران وعائلتها الكريمة المضيافة بالعاصمة.

إلى كل زملائي دفعة ماجستير 1433ه/2012م.

إليكم جميعا أهدي عملي وثمرة جهدي.


مقدمة

بلغت العلوم والآداب على عهد الدّولة الموحدية مبلغا عظيما من التقدّم والإزدهار، ومن مظاهر ذلك كثرة العلماء النابغين في مختلف المجالات، وقد تفاوت تواجدهم عبر حواضرها عددا وتوزعا جغرافيا.

وقد احتلت مدينة تلمسان مركزا متميزا في المغرب الأوسط منذ العهد الموحدي وكانت ممثلة لبقية مدنه إلى حد كبير، وبتحولها إلى حاضرة ملك بني عبد الواد فإنها لم تكن بمعزل عن منافسة جارتيها الحفصية والمرينية لاستقطاب ما أمكنها من العلماء. فالتزاع السياسي والصراع العسكري المحتدم وما نجم عنه من إهلاك للحرث والنسل واكتساح أدى في العديد من المرات إلى اختفاء رسم دول بأكملها، صاحبه تنافس من نوع آخر استهدف بدرجة أساس الظهور بمظهر القوة والعظمة من جهة، واستكمالا لأبهة الملك من جهة ثانية.

فحرص سلاطين الدول المغربية على أن تضم بلاطاتهم أكبر عدد من العلماء والفقهاء والشعراء، وبذلوا لذلك جهودا عظيمة وأظهروا بالغ الاهتمام لدرجة خلق جو من المنافسة من أجل استقطاب أولئك العلماء، لكن المثير للانتباه هو مساعي بعض السلاطين لاجتذاب ما لدى منافسيه من علماء وأدباء، من ذلك جهود سلاطين بني مرين لاستمالة علماء وفقهاء تلمسان وضمهم إلى مجالسهم العلمية الرسمية – وقسرا في بعض الأحيان-.

و يواكب هذا البحث العديد من الدراسات التي حظي بها تاريخ المغرب الأوسط، والتي ساهمت في رسم صورة عن واقع المنطقة في العصر الوسيط وبصفة أخص خلال القرون الثلاثة الأخيرة منه، وفي مختلف الجوانب: السياسية والاقتصادية والثقافية والاجتماعية، وعلاقاته مع الدول الإسلامية المعاصرة له مشرقا ومغربا وحتى الإمارات والممالك النصرانية في الضفة الشمالية للبحر المتوسط إلى جانب السودان الغربي بممالكه المتعاقبة.

ونسعى بدورنا إلى توضيح جانب من ذلك التواصل الثقافي والعلمي الذي حفل به تاريخ تلك الأطراف، من خلال البحث في نشاط علماء مدينة تلمسان والمكانة التي خصوا بها لدى سلاطين بني مرين في الفترة التي تم إلحاقهم ببلاطات أولئك السلاطين، فجاءت هذه الدراسة بعنوان:

" مكانة علماء تلمسان في المجالس العلمية السلطانية المرينية بفاس ما بين القرنين الثامن والتاسع الهجريين/14 و15م "

وأهم أسباب اختيار دراسة هذا الموضوع تتمثل في:

- الرغبة الشخصية في التعرّف على أكبر عدد من علماء مدينة تلمسان هذا من جهة، وجهة ثانية توضيح مكانة هذه الفئة المتميزة من المجتمع لدى الأنظمة السياسية الحاكمة بصفة خاصة.

- جاءت هذه الدراسة محدودة الزمان والمكان وعليه ارتأينا إلاّ أن نلمس جانبا يعكس بحق المستوى الفكري والعلمي لعلماء تلمسان، وليس أدل على ذلك من إلحاقهم بالمجالس العلمية الرّسمية لسلاطين بني مرين – أعدى أعداء الدولة الزيانية وأكبر خطر هدد وجودها منذ نشأتها–.

ويستمدّ الموضوع أهميته من كونه يشتمل على عدد من العلماء وهم الذين اعتبروا ركنا هاما لإرساء دعائم النهضة الثقافية التي عرفتها بلاد المغرب خلال فترة الدراسة، بل أكثر من ذلك، يتعلق البحث فقط بعلماء وأدباء البلاط الملكي مع ما يجب أن يتوفر فيهم من شروط كالرزانة والذكاء والاستقامة والأناقة في الأسلوب والنبوغ في سائر فنون الأدب والقدرة على المنافسة على حد تعبير الدكتور عبد الحميد حاجيات.

فالبحث يتعلق بظاهرة المنافسة حول استقطاب العلماء، وضمهم إلى المجالس العلمية السلطانية بشتى الوسائل، ما يدفع إلى التساؤل عن أسباب اهتمام سلاطين بني مرين بعلماء مدينة تلمسان، والحرص على إدراجهم ضمن مجالسهم العلمية لكن هذا الأمر

لم يسر على نفس الوتيرة وإنما خضع لعوامل وظروف تتعلق بشخصيات سلاطين بني مرين أنفسهم، ومارس أولئك العلماء وظائف ومهام مختلفة، ترك كل منهم من خلالها بصماته في المجال الذي تخصص ونبغ فيه وللبحث في جوانب هذه الإشكالية حاولنا الإجابة عن التساؤلات التالية:

-ما هي الأوضاع العامة: السياسية والاقتصادية والثقافية التي ميزت المغربين الأوسط والأقصى ما بين القرنيين الثامن الهجري والتاسع الهجري/ الرابع عشر والخامس عشر للميلاد؟

-ما هو وضع العلم والعلماء في كنف سلاطين بني زيان؟

-فيما تمثلت جهود بني مرين لاستمالة علماء مدينة تلمسان ولماذا هذا الاهتمام؟

-من هم أبرز أولئك العلماء التلمسانيين الذين حفل بهم البلاط المريني؟

-ما هي الوظائف والمهام التي اضطلعوا بها في فترات خدمتهم لبني مرين، وهل كانت كفيلة بتبلغيهم المكانة والوجاهة وعظم الشأن التي تليق بعلماء من مقامهم؟

واتبعنا في هذا البحث المنهج التاريخي الذي يعتمد على الوصف والتّحليل، وصف الحركة العلمية بتلمسان وموقعها من الاهتمام السلطاني ووصف ما بذله بنو مرين من جهد لاجتذاب عدد من علماء تلمسان ثم البحث في دواعي ذلك الاهتمام المريني واستنتاج الأبعاد المرجوة من ذلك، فجاءت الفصول مرتبة على الشكل التالي:

الفصل التمهيدي: يبحث في الظروف المحيطة بنشأة وتكوين أولئك العلماء وصولا إلى ممارسة نشاطاتهم في مختلف المجالات السياسية والاقتصادية والثقافية لما لها من أثر بارز في توجهاتهم الفكرية ونتاجهم العلمي.

الفصل الأول: علماء تلمسان بين الاهتمام الزياني والمنافسة المرينية، نسعى من خلاله إلى إبراز مكانة فئة العلماء لدى سلاطين بني زيان من جهة، وما بذله سلاطين بني مرين لاجتذابهم ونيل رضاهم من جهة ثانية.

الفصل الثاني: علماء تلمسان في حصرة سلاطين بني مرين، يتعلق بالبلاط المريني والمجالس العلمية التي أدارها بعض سلاطينه والتعرّف على عدد من العلماء الذين شاركوا فيها.

الفصل الثالث: نصل من خلاله إلى فهم المكانة التي خُصّ بها بعض علماء تلمسان بالبحث في الوظائف والمهام التي قاموا بها في مختلف الجوانب: السياسية والاجتماعية والتعليمية والدينية.

وأخيرا خاتمة ثم ملاحق قصد إثراء البحث ودعم جانبه التوثيقي.

وقد اعتمدنا على العديد من المصادر والمراجع أهمها:

1 التراجم والطبقات:

تعدّ مصدرا أساسيا للعلاقات الثقافية خاصة ما تعلق بحركة العلماء، كما نجد فيها السفارات التي يخرجون فيها منها على سبيل المثال:

-المناقب المرزوقية لابن مرزوق الخطيب (ت 781ه/1379م) تحقيق: سلوى الزاهري وهو يشمل عددا كبيرا من علماء القرن الثامن الهجري الرابع عشر الميلادي.

-المسند الصحيح الحسن في محاسن ومآثر مولانا أبي الحسن لابن مرزوق رغم طابع الترجمة الذاتية الذي يكتسيه فإنه من المصادر القليلة التي أمدتنا ببعض التفاصيل عن حياة القصر في عهد السلطان أبي الحسن.

– بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد لأبي زكريا يحيى بن خلدون من أهم مصادر الدولة الزيانية في أزهى فترات ويمدنا بتفاصيل عن حياة بعض علمائها الذين يشكلون الدعامة الأساسية للنهضة الثقافية في المنطقة.

– البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان لابن مريم المديوني اشتمل هو الآخر على تراجم أولياء وعلماء مدينة تلمسان وما خلفوه من آثار فكرية وعلمية، وما يؤخذ عليه تلك المبالغات والأخبار التي أطنب في الحديث عنها أحيانا خاصة فيما يتعلق بالجانب الصوفي.

2- كتب الرحلات:

تزخر بجوانب عن حياة العلماء ونشاطهم التعليمي وعلاقاتهم بطلبتهم والكتب المتداولة، كما تصور جوانب من حياة السلاطين بما فيها حياتهم داخل القصر وخاصة مجالسهم العلمية منها:

– التعريف بابن خلدون ورحلته غربا وشرقا لعبد الرحمن بن خلدون(ت 808ه/1406م) في حديثه عن العلماء الذين أخذ عنهم، وعدد كبير منهم جاء ضمن حملة أبي الحسن المريني على إفريقية.

– رحلة ابن بطوطة المسماة تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار، زار فيها معظم بلدان العالم الإسلامي اهتم بوصف الحياة الفكرية والعلمية التي شهدتها تلك البلدان وشمل وصفه أيضا المجالس العلمية التي كان يترأسها سلاطين بني مرين.

3- كتب التاريخ العام:

في مقدمتها كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر لعبد الرحمن بن خلدون الذي احتل الجانب السياسي فيه أهمية كبرى ويعتبر من أهم مصادر القرن الثامن الهجري الرابع عشر ميلادي ومع ذلك لا نجد فيه تفاصيل وافية عن الحياة داخل القصر الحاكم.

-تاريخ بني زيان ملوك تلمسان مقتطف من نظم الدر والعقيان في بيان شرف بني زيان لمحمد بن عبد الله التنسي (ت 899ه/1494م)، كتبه للسلطان الزياني محمد المتوكل (866-873ه/1461-1468م)تتمثل أهميته في إحاطته بما عرفته الدولة من منجزات عمرانية وحركة ثقافية رغم بعض المبالغة في المدح والتعظيم.

-الذخيرة السنية في تاريخ الدولة المرينية والأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس لابن أبي زرع الفاسي خاصة في مرحلة تأسيس الدولة ونشاطها العسكري في المغرب الإسلامي عموما.

-روضة النسرين في دولة بني مرين لإسماعيل بن الأحمر الذي رغم تحامله على الدولة الزيانية وجدنا فيه تفاصيل مهمة عن بعض سلاطين بني مرين.

أما عن المراجع فأهمها مؤلفات عبد الحميد حاجيات، ومنها: - أبو حمو موسى الزياني حياته وآثاره.

-كتاب مرجعي حول تاريخ الجزائر في العصر الوسيط مع الأستاذين مبخوت بودواية ومعروف بلحاج.

-إلى جانب كتاب: الحواضر والمراكز الثقافية في الجزائر خلال العصر الوسيط لعيسى بن الذيب وآخرين.

-كما كانت الاستفادة كبيرة من كتاب أحمد عزاوي، الغرب الإسلامي خلال القرنيين 7-8ه ومؤلفات محمد المنوني على رأسها ورقات عن حضارة المرينيين التي شمل مختلف جوانب الحضارة المرينية خاصة الجانب الثقافي.

-تلمسان في العهد الزياني لعبد العزيز فيلالي التي جاءت شاملة للجوانب السياسية والعمرانية والاجتماعية والثقافية.

-الدراسة القيمة لصابرة خطيف بعنوان: فقهاء تلمسان والسلطة الزيانية (633-791ه/1235-1388م) الجهاز الديني والتعليمي وكانت الاستفادة منها كبيرة، وقد نشرت مؤخرا لكن تعذر الحصول عليها؛ فكان الاعتماد على النسخة غير المنشورة.

وفيما يخصّ المراجع باللغة الأجنبية فأهمها:

- Abde Lhamid Hajiat, le maghreb central sous le règne du sultan Ziyanide Abou Hammou Mousa II760-91/1359-89 .

- Atallah Dhina , Les états de l'occident musulman aux XIII , XIU et XU siècles.

وأمّا الصعوبات فأجدرها بالذكر غياب تفاصيل وافية عن تلك المجالس السلطانية ضمن المصادر التي بين يدي وصعوبة الحصول على بعض المصادر التي كان يمكن أن تثري الموضوع وتكشف الغموض عن بعض الجوانب التي لم أصل إلى كشفها، خاصة المخطوطة منها ولا أنفي زيارتي للمكتبة الوطنية بالجزائر العاصمة أفادتني كثيرا لكنها لم تف بالغرض، ولا يزال الموضوع بحاجة إلى المزيد من الإثراء ودعم مادته التوثيقية، وهو ما سأعمل عليه مستقبلا بإذن الله تعالى، إلى جانب إرشادات لجنة المناقشة المحترمة المشكورة سلفا، وأجدّد شكري للأستاذ الدكتور مبخوت بودواية لإشرافه على هذه المذكرة، فما أصبت فمن الله وما أخطأت فمن نفسي والشيطان وبالله التوفيق ومنه السداد.

الرمشي يوم:

20 محرم 1433ه

الموافق لــ : 16 ديسمبر 2011م

الفصل التمهيدي

الأوضاع العامة للمغربين الأوسط والأقصى ما بين القرنين الثامن والتاسع الهجريين (14-15م)

- تمهيد
- أولا- الأوضاع السياسية
- ثانيا- الأوضاع الاقتصادية
- ثالثا- الأوضاع الثقافية

تمهيد:

تتطلّب دراسة فكر عالم أو تتبع مراحل حياته، التعرّف على العصر الذي عاش فيه بمختلف جوانبه: السياسية والاقتصادية والثقافية...، لما لذلك من تأثير في تكوينه وصقل شخصيته، ولما كان هذا البحث يشتمل على عدد كبير من العلماء وجب الحديث عن مميزات العصر الذي عاشوا فيه لفهم الظروف التي أحاطت بتكوينهم العلمي وتوضيح عوامل نجاحهم في الوظائف والمهام التي قاموا بها بكل أمانة وإبداع في البلاطات التي خدموا بها، كون هذه الدراسة تهتم فقط بتلك النخبة التي تم انتقاؤها بعناية من قبل الأمراء والسلاطين، ونظموها في مجالسهم العلمية الرسمية في إطار مساعيهم الحثيثة لحماية تراثهم الفكري ونقله للأجيال اللاحقة، وبعث الحركة العلمية في بلدانهم على أعلى المستويات لدرجة يمكن معها وصف تلك المساعي على أنها (صراع حضاري) ضمن تلك الصراعات التي رافقت ظهور دول جديدة على تراب المغرب الإسلامي عقب انهيار الدولة الموحدية، وهذه الظاهرة ميزت كل الدول المغربية التي ورثت الدولة الموحدية فقد سعت -كل حسب إمكاناتها- إلى الظهور في أعظم صور الأبهة والسلطان، فتميزت منها الدولة المرينية[1] التي لم تكتف بمن أم بلاطها من علماء، وراحت تجتذب من لدى أقرب منافسيها هي جارتها الدولة الزيانية، فبعد استقرار أوضاعها السياسية وازدهار الحياة الاقتصادية بمدنها، اهتم حكامها بالعلم والعلماء وشجعوهم بالحظوة المعنوية والمكافآت المادية الجزيلة[2].

[1]- محمد الطاهر توات، أدب الرسائل في المغرب العربي في القرنيين السابع والثامن، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1414ه/1993م،ص. 21-22.

[2]- مؤلف مجهول، مفاخر البربر، تحقيق: عبد القادر بوباية، دار أبي الرقراق، الرباط، 1426ه/2005م، ص. 45 من مقدمة المحقق.

أولا- الأوضاع السياسية:

شكّلت الفتن والثورات[1] التي عرفتها الدولة الموحدية طيلة عهدها عاملا رئيسيا من عوامل ضعفها ثم سقوطها[2]، لكن الضربة الأقسى كانت إثر هزيمة الجيش الموحدي بقيادة محمد الناصر (595-610)ه/(1199-1213)م أمام الجيوش النصرانية المتحالفة بقيادة ألفو نسو الثامن ملك قشتالة في معركة العقاب 609ه/1212م[3].

واستفحل الصراع على السلطة والملك بين أفراد البيت الموحدي وشيوخه والطامحين إلى النفوذ فيه منذ وفاة الناصر في السنة الموالية لهزيمة العقاب، فاختلفت كلمتهم وتفرقوا إلى شيع وأحزاب متخاصمة[4].

وهكذا، ضعفت الدولة الموحدية، وضاعت هيبتها أمام تطلعات القبائل الكبيرة وطموحاتها، وهو ما كان السبب في مبادرة قوى جديدة إلى محاولة تأسيس دول خاصة بها[5].

---

[1]- أشهرها وأخطرها ثورة بني غانية الذين أحدثت ثورتهم اضطرابا كبيرا في المغرب الإسلامي بأكمله، ينظر: عبد الرحمن بن خلدون، العبر وديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، اعتنى به: خليل شحادة وراجعه: سهيل زكار، دار الفكر بيروت، 1421ه/200م، ج6، ص. 252-254، 256-262؛ محمد العروسي المطوي، السلطنة الحفصية تاريخها السياسي ودورها في المغرب الإسلامي، دار الغرب الإسلامي بيروت، 1406ه/1986م، ص.17 وما يليها).

[2]- عبد الحميد حاجيات وآخرون، كتاب مرجعي حول تاريخ الجزائر في العصر الوسيط، منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954م، الجزائر، طبعة خاصة، 1428ه/2007م، ص. 126.

[3]- تعرف هذه المعركة عند الإسبان باسم (las navas de tolosa) حيث جرت أحداثها في سفح جبل المودارال أو سهول طولوزا ينظر: (مارمول كربخال، إفريقيا ترجمه عن الفرنسية: محمد حجي وآخرون، مكتبة المعارف، المغرب، 1404ه/1984م، ج1، ص. 373) ؛ وعن المعركة ذاتها أنظر: (علي ابن أبي زرع الفاسي، الذخيرة السنية في تاريخ الدولة المرينية، دار المنصور، الرباط، 1392ه/1972م،ص 24؛ ولنفس المؤلف، الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، دار المنصور، الرباط،1393ه/1973م،ص. 238-240).

[4]- عبد العزيز لعرج، المباني المرينية في إمارة تلمسان الزيانية دراسة أثرية ومعمارية وفنية، أطروحة دكتوراه دولة في الآثار الإسلامية، معهد الآثار، جامعة الجزائر 1420ه/1999م،ص 3-4.

[5]- عبد العزيز فيلالي، تلمسان في العهد الزياني، مرفع للنشر والتوزيع، الجزائر، 1423ه/2002م، ج1، ص.14.

فكانت الدولة الحفصية بالمغرب الأدنى أسبق الدول التي قامت على أنقاض الدولة الموحدية ظهورا[1]، حيث أحسن أبو زكرياء بن عبد الواحد بن أبي حفص والي إفريقية استغلال ظروف الصراع بين أبناء عبد المؤمن وأشياخ الموحدين منذ وفاة الناصر وأعلن استقلاله بالجزء الشرقي للدولة الموحدية واتخذ تونس قاعدة لدولته سنة 625ه / 1227م[2]، وإكتملت سيادته على إفريقية بعد تحركه صوب قسنطينة 628ه / 1230م ثم بجاية وتوليته حكاما من قبله على المدينتين[3].

وتمكن بنو عبد الواد من الاستقلال بحكم المغرب الأوسط[4]، بعد أن كان الموحدون قد أقطعوهم نواحي من هذه المنطقة لطاعتهم لهم وإخلاصهم في خدمتهم[5].

---

[1]- عاشور بوشامة، علاقات الدولة الحفصية مع دول المغرب والأندلس 626-981ه/1228-1573م، رسالة ماجستير في التاريخ الإسلامي، قسم التاريخ، جامعة القاهرة، 1412ه/1991م،ص. 103.

[2]- عبد الرحمن بن خلدون، العبر...، ج6، ص. 380؛ أحمد بن القنفذ القسنطيني، الفارسية في مبادئ الدولة الحفصية، تحقيق: محمد الشاذلي النيفر وعبد المجيد التركي، الدار التونسية للنشر، تونس، 1388ه/1968م، ص. 107؛ مصطفى أبو ضيف، القبائل العربية في المغرب في عصري الموحدي وبني مرين، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1402ه/1982م،ص. 119.

[3]- عاشور بوشامة، المرجع السابق،ص. 55.

[4]- يحيى بن خلدون، بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد، تحقيق: عبد الحميد حاجيات، وزارة الثقافة، الجزائر، 1428ه/ 2007م، ج1، ص.198؛ عبد الرحمن بن خلدون، العبر...،ج7، ص.100؛ محمد بن عبد الله التنسي، تاريخ بني زيان ملوك تلمسان مقتطف من نظم الدر والعقيان في بيان شرف بني زيان، تحقيق: محمود بوعياد، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1405ه/1985م،ص.111-112.

[5]- عبد الرحمن بن خلدون، العبر،... ج 7، ص. 97؛ لخضر عبدلي، التاريخ السياسي لمملكة تلمسان في عهدبني زيان، ديوان المطبوعات الجامعية، وهران، 1428ه/2007م، ص. 37؛ سيما بعدما تمكن عبد الحق بن منغفاذ من استنفاذ غنائم لهم من أيدي بني مرين عن هذه الحادثة ينظر: يحي بن خلدون، المصدر السابق،ج 1، ص. 189؛ عبد الرحمن بن خلدون، العبر...، ج7، ص.98؛ Abdelhamid Hajiat, le maghreb central sous le règne du sultan Ziyanide Abou Hammou Mousa II760-91/1359-89, édition Errached , Algérie, 1430/2009,P.73.

ولم يستول بنو عبد الواد على تلمسان إلا بعد حدوث اضطرابات وأحداث خطيرة بها[1]، ودخلوها سنة 627ه / 1230م بقيادة جابر بن يوسف فكانت هذه الخطوة الأولى نحو تأسيس دولتهم، وانتهى الملك إلى يغمراسن بن زيان سنة 633ه / 1236م الذي يعتبر التاريخ الرسمي لقيام المملكة الزيانية وبقي الأمر متوارثا في أبنائه من بعده[2].

أما المغرب الأقصى فكان من نصيب الدولة المرينية [3]، حيث بدأ الانحلال الحكومي منذ سنة 615ه / 1215م وتلاحقت بوادر الضعف الحكومي وانحسر نفوذ السلطة إلى المدن، واشتعلت الثورات في الكثير من الجهات [4]، وخاض بنو مرين صراعا سياسيا وعسكريا طويلا ضد الموحدين منذ عهد الأمير الأول عبد الحق بن محيو، وقد اتخذ ذلك الصراع أسلوب المواجهة العسكرية العنيفة حينا، والدسائس والمؤامرات حينا أخر، يستغل كل منهما جوانب الضعف ومواطن الخلاف في الطرف الآخر ليزيد في ضعفه ويعمق الخلاف في معسكره وقد يصل الخلاف إلى الأسرة الحاكمة ذاتها[5].

وكانت نهاية الدولة الموحدية وانقراضها بعد استيلاء أبي يوسف يعقوب بن عبد الحق على مدينة مراكش 668ه / 1269م[6].

---

[1]- يحيى بن خلدون، المصدر السابق، ص.199؛ عبد الرحمن بن خلدون، العبر...، ج7،ص. 99-100.

[2]- يحيى بن خلدون، المصدر السابق،ص. 200؛ لخضر عبدلي، التاريخ السياسي...،ص. 100.

[3]- أو دولة بني عبد الحق ذلك أن بني وطاس ينتمون بدورهم إلى قبيلة بني مرين، لكن اصطلاح الدولة المرينية أكثر شيوعا، ينظر: (ابن فضل الله العمري، وصف المغرب أيام السلطان أبي الحسن المريني مقتبس من " مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، ضمن كتاب، محمد المنوني، ورقات عن حضارة المرينيين، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، ط 3، 1420ه/2000م،ص. 547؛ أبو العباس أحمد القلقشندي، صبح الأعشى في صناعة الإنشا، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر، القاهرة، ب.ت، ج 5،ص 194؛ مارمول كربخال، المصدر السابق، ج 1،ص.91، عاشور بوشامة، المرجع السابق، ص.169).

[4]- محمد منوني، ورقات...،ص. 11.

[5]- عبد العزيز لعرج، المباني المرينية...،ص. 9.

[6]- مؤلف مجهول، الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية، تحقيق: سهيل زكار وعبد القادر زمامة، دار الرشاد الحديثة، الدار البيضاء، 1399ه/1979م،ص.173؛ ابن أبي زرع الفاسي، الذخيرة السنية...،ص. 118؛ محمد المنوني، ورقات...،ص. 14؛ قارن مع، مؤلف مجهول، مفاخر البربر، ص.152.

ولا تكتمل الصورة إلا بإلقاء نظرة على ما بقي للمسلمين في الأندلس حيث تمكنوا من الاحتفاظ برقعة في القسم الجنوبي أقاموا عليها دولتهم على يد أميرهم أبي عبد الله محمد بن نصر تميز تاريخها السياسي بمؤامرات القصر والتهديد الخارجي[1].

لقد كانت كل دولة من تلك الدول تدّعي حق وراثة الدولة الموحدية، فسعت كل منها إلى الاستحواذ على أكبر قسم منها وتوسيعه إلى حدود تأمن منها خطر جارها، وبالتالي غلب الطابع التوسعي على سياسات الدول المغاربية بشكل جلي لفترات طويلة [2]، لكن لم تتمكن أي دولة من فرض سيطرتها المطلقة والمستمرة على بقية الدول بسبب توازن القوى[3]، إلا أن هذا الصراع خلف حالة من عدم الاستقرار السياسي والأمني في منطقة المغرب الإسلامي برمتها، وأهدر طاقات كبيرة كان من الأجدر استغلالها في مواجهة العدو النصراني [4]، الذي تصاعد خطره على الأندلس أولا ثم السّواحل المغربية واتجهت الدول الأوروبية نحو استكمال وحدتها السياسية وبدأت تسودها مظاهر الحضارة التي تأثر بها الإفرنج عن طريق الاحتكاك بأهل الأندلس أو بالمسلمين في الشرق وخلال الحروب

[1]- لسان الدين بن الخطيب، اللمحة البدرية في الدولة النصرية، تحقيق، لجنة إحياء التراث العربي، منشورات دار الآفاق الجديدة، بيروت، ط3، 1400هـ/1980م، ص. 43-44؛ بلخير عثمان، البعد التنزيلي في التنظير الأصولي عند الإمام الشاطبي، دار ابن حزم، بيروت، 1430هـ/2009م، ص. 60-61.

[2]- عاشور بوشامة، المرجع السابق،ص. 125-126؛ خالد بلعربي، الدولة الزيانية في عهد يغمراسن دراسة تاريخية وحضارية 633- 681هـ/ 1235- 1282م، مطبعة R.N تلمسان، 1426هـ/ 2005م، ص. 85.

[3]- عبيد بوداود، ظاهرة التصوف في المغرب الأوسط ما بين القرنين السابع والتاسع الهجريين (ق 13-15م)، دار الغرب وهران، 1424هـ/2003م، ص. 156؛ وفي هذا المقام تجدر الإشارة إلى قلة أنصار الدولة العبدوادية والتفوق العددي لكل من بني حفص وبني مرين ما جعلها تعتمد على عناصر أجنبية فكانت قوتها العسكرية غير متناسقة عنصريا وغير ضخمة عدديا، ينظر: (أحمد عزاوي، الغرب الإسلامي خلال القرنين (7و8هـ)، مطبعة ربانيت، الرباط، 1427هـ/2006م، ج4، ص. 43؛ بوزياني الدراجي، نظم الحكم في دولة بني عبد الواد الزيانية، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1414هـ/1993م، ص. 27).

[4]- عبيد بوداود، المرجع السابق،ص. 156؛ Abdelhamid Hajiat, op.cit, p.71

الصليبية[1]، بينما اتجه المغرب نحو التجزئة السياسية ومالها من آثار وخيمة على العلاقات بين دوله.

فبالنسبة للعلاقات الزيانية- الحفصية غلب عليها الصراع والتنافس للاستحواذ على أكبر قسم من الدولة الموحدية [2]، فيغمراسن بن زيان وبعد إرساء إمارته على أسس متينة، وتنظيم شؤون الدولة أصبح يصبو إلى توسيعها شرقا وغربا وفي نفس الوقت كان أبو زكريا الحفصي بعد إعلان إنفصاله عن الأسرة المؤمنية قد بسط نفوذه على متيجة والجزائر ومنطقة شلف[3]، واستمرت الحملات العسكرية الحفصية على تلمسان في عهود خلفائه خاصة عهد أبي فارس عبد العزيز الحفصي[4].

من جهتهم، حاول بنو زيان توسيع دولتهم على حساب جارتهم الحفصية، فتوالت حملاتهم على الجهة الغربية منها طيلة عهد أبي حمو موسى الأول (707-718ه/1307-1318م)، وعهد خليفته عبد الرحمن أبي تاشفين الأول (718-736ه/1318-1337م) بمعدل حملة كل سنة، وكان من أهم دوافع ذلك التدخل إلحاح بني عبد الواد في ضم بجاية إلى ملكهم[5].

والجدير بالذكر أن تدخلات بني حفص لم تقف عند التدخل العسكري فحسب، وإنما عملوا على تولية حكام يدينون لهم بالولاء على عرش تلمسان [6]، ومن هنا نفهم أن

[1]- إبراهيم حركات، المغرب عبر التاريخ من بداية المرينيين إلى نهاية السعديين، دار الرشاد الحديثة، الدار البيضاء، 1398ه/1978م،مج2،ص. 7.

[2]- مبخوت بودواية، العلاقات الثقافية والتجارية بين المغرب الأوسط والسودان الغربي في عهد دولة بني زيان، أطروحة دكتوراه دولة في التاريخ الإسلامي، قسم التاريخ، جامعة تلمسان، 1426ه/2005م،ص. 19.

[3]- عبد الحميد حاجيات وآخرون، كتاب مرجعي...،ص. 186.

[4]- ابن القنفذ القسنطيني، الفارسية...، ص. 192؛ عاشور بوشامة، المرجع السابق،ص. 155.

[5]- محمد العروسي المطوي، المرجع السابق، ص. 343؛ وغالبا ما يعزي اتجاه بني زيان في توسعاتهم نحو الشرق إلى وصية يغمراسن، ينظر: (عبد الرحمن بن خلدون، العبر، ج 7، ص. 123)؛ وهناك من يفسّر إلحاح بني زيان على ضم بجاية بعدم شعورهم بالأمان في حاضرتهم تلمسان أمام التهديدات المرينية المتصاعدة، وبالتالي لا يستبعد إمكانية تفكيرهم في نقلها إلى بجاية ينظر: عاشور بوشامة، المرجع السابق، ص.146.

[6]- التنسي، المصدر السابق،ص. 243.

الهدف الحقيقي للتدخلات الحفصية هو الحدّ من شوكة الدولة الزيانية وتنصيب من يرضونه من أمرائها على العرش، والإطاحة بكل من علا شأنه قوي نفوذه وأصبح خطرا على كيانهم [1]، وفي نفس الوقت رغبة الحفصيين في إقامة حاجز بين المغرب الأقصى وإفريقية وهو ما يفسر مساعدتهم لأحد أمراء بني زيان لإحياء إمارة أجداده بتلمسان إذ أن تعيين أبي حمو موسى على رأس الحركة نحو المغرب الأوسط بدعوى إعادته إلى عرش أجداده كان لأسباب سياسية واضحة من قبيل اكتساب الشرعية في إطار مشروعهم لوقف التوسع المريني في إفريقية [2]، هذا الأخير الذي قضت الدولة الزيانية دهرا طويلا في مقاومته إذ هدد كيانها في فترات عديدة [3]، وما الحملات العسكرية التي سيرها بنو مرين باتجاهها إلا دليل على اهتمامهم بتلمسان وتصميمهم على الاستيلاء عليها [4]، لما لها من مكانة إستراتيجية تتماشى والأهداف المرينية[5].

فبذل يوسف بن يعقوب المريني (685-706هـ/1286-1306م) جهده لاقتحام أسوار تلمسان وباءت محاولاته الخمس سنوات 689هـ/1290م و 695هـ/1296م و696هـ/1297م وسنة 697هـ/1298م والأعنف سنة 698هـ/1299م[6] بالفشل رغم ما لحق أهل تلمسان من الأذى والجوع فغالبا ما يتبع تلك الحملات التخريب والنهب والحصار واقتحام للمدن[7].

---

[1]- عبد الحميد حاجيات: "تاريخ دولة الأدارسة من خلال كتاب نظم الدر والعقيان لأبي عبد الله التنسي المتوفى سنة 899هـ/1494م" في مجلة: التاريخ، يصدرها المركز الوطني للدراسات التاريخية، العدد التاسع، الجزائر، 1400هـ/ 1980م،ص. 5.

[2]- عبد الحميد حاجيات: "أبو حمو موسى الثاني سياسته وأدبه" في مجلة: تاريخ وحضارة المغرب، كلية الآداب والعلوم الإنسانية جامعة الجزائر، العدد الخامس، الجزائر، 1388هـ/1968م، ص.11.

[3]- عبد الحميد حاجيات، تاريخ دولة الأدارسة...،ص. 5.

[4]- عبد العزيز فيلالي، المرجع السابق،صذج1،ص 27.

[5]- معروف بلحاج: "مدينة منصورة الأثرية من خلال المصادر التاريخية" في حولية: المؤرخ، يصدرها اتحاد المؤرخين الجزائريين، العدد الخامس، جوان، 1426هـ/2005م، الجزائر ص. 65.

[6]- عبد الرحمن بن خلدون، العبر ...،ج7، ص.126.

[7]- عبيد بوداود، المرجع السابق،ص. 158.

وكما سبقت الإشارة إلى أن حملة 698ه/1299م كانت الأعنف فإنها أيضا مقدمة لما يعرف بالحصار الطويل الذي كانت آثاره وخيمة على سكان تلمسان إذ دام أكثر من ثمان سنين " اضطروا إلى أكل الجيف... وخرّبوا السقف للوقود، وغلت أسعار الأقوات والحبوب وسائر المرافق..."[1].

والأدهى من ذلك تراجع مكانة تلمسان وانتقالها إلى (المحلة منصورة) التي شيدها يوسف بن يعقوب لتضييق الخناق على تلمسان [2] أولا ثم راحة الجيوش المرينية [3]، وبالغ في إحكام الحصار الذي لم ينته إلا بوفاته[4].

وتوالت الحملات المرينية طيلة القرن الثامن الهجري الرابع عشر ميلادي ضد الدولة الزيانية حتى عد هذا الأخير قرن حروب بين الدولتين [5]، وأصبحت في مراحل لاحقة أكثر أكثر خطورة إذ لم يعد يقتصر ضررها على النّهب والتخريب وإنما اختفاء كيان الدولة ذاتها سيما حملة أبي الحسن المريني بداية من سنة 735ه/1335م والتي بدأها بالسيطرة على المدن الساحلية حتى وهران، ودخلت في طاعته المنطقة الشرقية وختمها بحصار تلمسان، فاتبع أسلوب عمه حيث أعاد تعمير المنصورة لاستقرار جيوشه كما استعمل وسائل مختلفة كحجارة المنجنيق وكيزان النفط الموقدة والأبراج الاصطناعية ووسائل الردم لتسوية الخنادق المحيطة بالأسوار... [6]

1- عبد الرحمن بن خلدون، العبر...، ج7،ص. 128.

2-عبد الرحمن بن خلدون، المصدر نفسه، ج7،ص. 127.

3- ابن مريم التلمساني، البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان، نشر: محمد بن أبي شنب، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1406ه/ 1986م، ص. 27.

4- مؤلف مجهول، الحلل الموشية...،ص. 177؛ ابن أبي زرع، الأنيس المطرب...، ص. 387؛ معروف بلحاج، المرجع السابق،ص. 66.

5- عبيد بوداود، المرجع السابق، ص. 160

6- أحمد عزاوي، المرجع السابق، ج2،ص. 26-27.

لكن ما تميز به هذا السلطان هو عفوه عن أهل تلمسان ومعاملته الحسنة لأمراء بني عبد الواد وفرسانهم وسعيه لكسبهم واستخدامهم لتحقيق مشاريعه[1].

وتمكن أبو الحسن المريني من الاستيلاء على تلمسان سنة 737هـ/1337م، وواصل سيره نحو إفريقية، وترك ابنه أبا عنان فارس في تلمسان وعهد إليه قيادتها لحين رجوعه، لكن الانتصار الذي حققه أبو الحسن لم يدم طويلا بسبب الانقسامات التي ظهرت في صفه ولم يبق أمامه إلا الرجوع إلى مقر حكمه لاستعادة عرشه الذي ضاع منه لحساب ابنه أبي عنان[2]، لكن طريق العودة كانت أصعب من تلك التي قدِم فيها إلى إفريقية[3].

وخضع المغرب الأوسط بكامله لسلطة بني مرين من جديد عقب حملة أبي عنان 753هـ/1352م واندثرت الدولة الزيانية من جديد[4]، وبعده تأتي محاولة أبي سالم إبراهيم ابن أبي الحسن سنة 761هـ/1360م وآخر محاولة من حيث الأهمية كانت سنة 771هـ/1373م، في عهد أبي فارس عبد العزيز ودام استيلاءه على تلمسان لمدة سنتين، إلى جانب محاولات أخرى بذل سلاطين بني زيان ما في وسعهم لمواجهتها والمحافظة على دولتهم ومكتسباتهم.

---

[1]- محمد ابن مرزوق التلمساني، المسند الصحيح الحسن في مآثر ومحاسن مولانا أبي الحسن، تحقيق: ماريا خيسوس بيغيرا، الشركة الوكنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1401هـ/1981م،ص. 192؛ التنسي، المصدر السابق،ص. 149؛ عبد الحميد حاجيات، أبو حمو موسى الزياني حياته وآثاره، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر،1394هـ/1974م،ص. 21.

[2]- روباربرونشيفك، تاريخ إفريقية في العهد الحفصيمن القرن 13 إلى القرن 15، ترجمة: حمادي الساحلي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1406هـ/1986م، ج1،ص. 196-201.

[3]- وهنا يطرح سؤال نفسه بإلحاح وهو: لماذا عاد أبو الحسن بحرا في فصل غير مناسب؟ هل بسبب الوباء، أو بسبب عدم أمن الطريق من القبائل والعناصر المعارضة؟ ينظر: (أحمد عزاوي: المرجع السابق، ج 2،ص. 30)؛ بينما تذهب بعض المصادر إلى أن أبا عنان بعث إلى ولاة بجاية وقسنطينة وأخذ عليهم العهود أن يمنعوا أباه من الجواز إلى المغرب فلما سد على والده الطريق في البر ركب البحر في أساطيل ما يعني أن صعوبة عودته برا كانت مؤكدة ينظر: (لسان الدين بن الخطيب، اللمحة البدرية...، ص.107؛ أبو عبد الله محمد ابن الشماع، الأدلة البينة النورانية في مفاخر الدولة الحفصية، تحقيق: الطاهر بن محمد المعموري، الدار العربية للكتاب، 1404هـ/1984م،ص.99).

[4]- عبيد بوداود، المرجع السابق،ص. 161.

ثم إن ضعف الدولة المرينية في فترات لاحقة لم يوقف تدخلها في شؤون المغرب الأوسط واتخذ أساليب أخرى من خلال اللجوء إلى الدسائس والمؤامرات وإدخال البيت الزياني في صراعات[1] والهدف ضمان التبعية والخضوع ولو اسميا.

فخلاصة القول هي أن الواقع التاريخي لبلاد المغرب خلال القرنين الثامن والتاسع الهجريين الرابع عشر والخامس عشر للميلاد يثبت أنها بم تعرف معنى للاستقرار السياسي وأنها ظلت عرضة للصراعات والحروب والتدخلات العسكرية بين دولها.

[1]- التنسي، المصدر السابق، ص. 180؛ عبد العزيز فيلالي، المرجع السابق، ج1،ص. 66.

ثانيا- الأوضاع الاقتصادية:

وصف مؤلف مجهول من القرن السادس الهجري الثاني عشر للميلاد المغرب الأوسط وبعض مدنه في مقدمتها تلمسان التي ارتقت فيما بعد إلى حاضرة للدولة الزيانية، بما يلي: " المغرب الأوسط وفيه مدن كثيرة قاعدتها مدينة تلمسان...وهي في سفح... وكان لها ماء مجلوب من عمل الأوائل... وهي كثيرة الخصب رخيصة الأسعار كثيرة الخيرات والنعم[1]" ومن مدنه ما هي" كثيرة الغنم والماشية طيبة المراعي[2]...".

ولعلّ مصادر أخرى من قرون لاحقة أو معاصرة تشترك معه في هذا الوصف في بعض الجوانب، نذكر منها على سبيل المثال ما قاله الإدريسي في وصف مدينة تلمسان: " لها نهر يمر في شرقي المدينة وعليه أرحاء كثيرة وما جاورها من المزارع كلها سقي وغلاتها ومزارعها كثيرة وفواكهها جمة وخيراتها شاملة...وبالجملة إنها حسنة لرخص أسعارها ونفاق أشغالها ومرابح تجارتها..."[3].

وهذا يعني أن القطاعات الاقتصادية التي عرفتها الدولة الزيانية لم تكن وليدة العصر، وإنما تعود بجذورها لفترات سابقة، فضلا عما استحدث من أنظمة جديدة وعليه

---

[1]- مؤلف مجهول، كتاب الاستبصار في عجائب الأمصار، تحقيق: سعد زغلول عبد الحميد، دار النشر المغربية، الدار البيضاء، 1405ه/1986م، ص. 176؛ وتجدر الإشارة في هذا المقام إلى الاختلاف الحاصل حول مؤلف هذا الكتاب حيث يذهب محمد المنوني إلى كونه لمؤلفين اثنين أحدهما مجهول والثاني كان حيا سنة 588ه/1192م وقام بإهدائه إلى أحد كبار رجال الدولة الموحدية انظر(ص.ب.ث من مقدمة المحقق)، عواطف محمد يوسف نواب الرحلات المغربية والأندلسية مصدر من مصادر تاريخ الحجاز في القرنين السابع والثامن الهجريين، مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض، 1417ه/1996م،ص. 23)؛ عبد السلام بن عبد القادر بن سودة المري، دليل مؤرخ المغرب الأقصى، دار الفكر ، بيروت، 1418ه/ 1997م، ص.18.

[2]- مؤلف مجهول، كتاب الاستبصار...،ص. 179.

[3]- الشريف الإدريسي، المغرب وأرض السودان ومصر والأندلس مأخوذة من كتاب نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، مطابع بريل، ليدن، 1282ه/1865م،ص. ؛ وانظر كذلك ما ورد عند: (الحسن الوزان، وصف إفريقيا، ترجمه عن الفرنسية: محمد حجي ومحمد الأخضر، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط 2،1403ه/1983م، ج2،ص. 10؛ مارمول كربخال، المصدر السابق، ج2،ص. 291.)

يجب أن نفرق بين ما امتلكته تلك البلاد من مؤهلات وبين إمكانية استغلالها حسب الظروف المحيطة خاصة منها الجانب الأمني.

وعلى العموم شهدت الدولة الزيانية نشاطات اقتصادية مختلفة [1] تصدرها النشاط الزراعي الذي كان العمود الفقري لاقتصادها احترفته نسبة كبيرة من سكان المدن والقرى[2]، ورغم اشتماله على العديد من المنتجات الفلاحية إلى جانب الاهتمام بتربية مختلف الحيوانات وتوزعه على مناطق المغرب الأوسط تبعا لمميزاتها التضاريسية والمناخية [3]، غلب عليها بصفة عامة زراعة الحبوب حسب الأوضاع التي عاشتها المنطقة سيما منها تلك المحن التي تميزتبها القرون الثلاث الأخيرة للعصر الوسيط من تفكك الوحدة السياسية، وانتشار الاضطرابات والمجاعات وظهور الوهن الديموغرافي، وإهمال الفلاحة، وسيطرة البداوة والترحال[4].

كما عرفت مدن المغرب الأوسط في العهد الزياني صناعات متنوعة حسب المواد الأولية المتوفرة، وأيضا حسب حاجات السكان ومدى تطورهم فكانت تتفاوت بين المجتمعين البدوي والحضري[5]، فبينما كان الأول أكثر اهتماما بتوفير المأكل والملبس والخيام عرف الثاني – أي المجتمع الحضري- بمهارة الصناع وتنوع منتوجاتهم[6].

وكان لهذا التنوع في الزراعة والصناعة أثر واضح في تفعيل عنصر آخر من عناصر الحياة الاقتصادية للدولة الزيانية ألا وهو التجارة، فقد تعدى نشاط تجار المغرب الأوسط الإطار المحلي إلى العالم الخارجي، فسارت قوافلهم في جميع الاتجاهات تحمل السلع المختلفة

---

[1]- لطيفة بن عميرة:" الأوضاع الاقتصادية في الإمارة الزيانية " في مجلة: الدراسات التاريخية، معهد التاريخ، جامعة الجزائر، العدد الثامن، 1415ه/1994م،ص. 74.

[2]- مبخوت بودواية:" الحياة الاقتصادية بالمغرب الأوسط في العهد الزياني" في دورية: قرطاس الدراسات الحضارية والفكرية، العدد التجريبي، ديسمبر، 1429ه/2008م، ص.55.

[3]- لطيفة بن عميرة، المرجع السابق،ص. 72-73؛ مبخوت بودواية، الحياة الاقتصادية...،ص. 55-57.

[4]- عبيد بوداود، المرجع السابق،ص. 183.

[5]- مبخوت بودواية، الحياة الاقتصادية...،ص. 57.

[6]- المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

ذهابا وإيابا[1]، ساعد على ذلك عدة عوامل من بينها الموقع الاستراتيجي لهذه البلاد فهي:" قفل بلاد المغرب وهي على رصيف للداخل والخارج لابد منها والاحتياز بها"[2]، إلى جانب العامل الأمني إذ يعتبر الأمن أمرا ضروريا للانتعاش الاقتصادي بوجه عام [3]، فأضحت العديد من مدن المغرب الأوسط أسواقا مزدهرة أشاد بها الرحالة والجغرافيون عبر العصور، إذ ذكرها أبو عبيد البكري:" وهذه المدينة تلمسان قاعدة المغرب الأوسط ولها أسواق " [4]، "[4]، وذكر أيضا مدينة تنس وأن " بها ...أسواق كثيرة"[5]، وأنها اتخذت سوقا منذ القدم[6].

القدم[6].

لكن الاضطرابات والثورات المستعرة في جنبات المنطقة عموما سيما الدولة الزيانية سواءا من قبل القبائل المعادية أو الفتن التي حرصت على إشعال فتيلها كل من الجارتين المترصدتين الحفصية والمرينية حالت دون استكمال بناء اقتصاد متوازن للدولة خاصة بعد الفوضى التي تعم عقب الحصار، فتعم اللصوصية ويزدهر نشاط قطاع الطرق [7]، فيؤدي ذلك التطاحن الداخلي إلى هجر الأراضي الزراعية وتستنفذ الدولة مواردها في مقارعة الخارجين عنها أو المعتدين عليها وهو ما يؤدي أيضا إلى تقلص حجم التجارة داخل الدولة الواحدة وما بين مختلف المدن المغاربية، فاتجهت العلاقات التجارية نحو أوروبا عبر البحر

---

[1]- جودت عبد الكريم يوسف، الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية في المغرب الأوسط خلال القرنين الثالث والرابع الهجريين (9-10)م، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1413ه/1992م،ص. 193.

[2]- الشريف الإدريسي، المصدر السابق،ص. 82.

[3]- جودت عبد الكريم يوسف، المرجع السابق،ص. 194.

[4]- المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب وهو جزء من كتاب المسالك والممالك، نشره: البارون دي سلان، المطبعة الحكومية، الجزائر، 1274ه/1857م،ص. 76.

[5]- أبو عبيد البكري، المصدر نفسه،ص. 61.

[6]- المصدر نقسه، الصفحة نفسها؛ وأنظر أيضا: محمد العبدري البلنسي، الرحلة المغربية، تقديم: سعد بوفلاقة، مؤسسة بونة للبحوث والدراسات، الجزائر، 1428ه/2007م،ص. 28.

[7]- عبيد بوداود، المرجع السابق،ص. 180؛ عبد الحميد حاجيات، الحياة الاجتماعية والاقتصادية في عهد المرابطين والموحدين ضمن كتاب الجزائر في التاريخ، ص.336.

عن طريق الموانئ[1]، وفتحت أسواق جديدة أمام تجارة السودان فقد كان بمقدور السفن أن ترد الموانئ وتحمل ما شاء لها من تجارة المغرب والسودان مثل الذهب والعاج والجلود والعنبر، في حين كانت الأندلس الممون الرئيسي لشمال إفريقيا-بما فيه المغرب الأوسط- وبلاد السودان الغربي بالملح والأدوات الفضية والنحاسية والمنتجات النسيجية والقطنية والحريرية فضلا عن المواد الغذائية[2].

وكانت أهم تجارة وأكثرها درا للأرباح تجارة الرقيق التي كانت تعج بها أسواق الدولة الزيانية وقد نظمت هذه الأخيرة علاقاتها التجارية الخارجية من خلال معاهدات أشهرها:

- معاهدة تلمسان المؤرخة في سنة 685هـ/1286م المبرمة مع مملكة آراغون.
- معاهدة تلمسان المؤرخة في سنة 740هـ/1339م المبرمة مع مملكة ميورفة[3].

وبدورها لم تسلم هذه التجارة من أعمال النهب والقرصنة المسيحية ووقوع المسلمين في الأسر[4].

وفي ظل تراجع نفوذ الدولة الزيانية بقيت المعاملات الاقتصادية والتجارية بعيدة عن أي ضابط شرعي أو قانوني[5]، فعمدت الدولة إلى انتهاج سياسة ضريبية لضمان مورد قار لخزينتها لتقوية شوكتها للوقوف في وجه الحروب والفتن[1].

---

[1]- عبيد بوداود، المرجع السابق،ص. 180؛ وعن أهم موانئ المغرب الأوسط أنظر: (لخضر عبدلي، التاريخ السياسي...،ص. 68-82).

[2]- محمد الصمدي:" حركة التجارة البحرية بين المغرب والأندلس أيام المرابطين"، ضمن ندوة: دور مضيق جبل طارق في علاقات المغرب الدولية، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة عبد المالك السعدي، تطوان 27-28 فبراير- 1مارس، 2001م، ص 100؛ مبخوت بودواية، العلاقات الثقافية والتجارية...،ص. 272.

[3]- مبخوت بودواية، الحياة الاقتصادية...،ص. 59؛ Atallah Dhina, Les états de l'occident musulman aux XIII , XIU et XU siècles O.P.U, Alger, S.D , P.478.

[4]- محمد الصمدي، المرجع السابق،ص. 101.

[5]- عبيد بوداود، المرجع السابق،ص. 183.

واستغلت تلك الموارد إلى جانب عائدات الزراعة والصناعة والتجارة في تغذية مجالات أخرى، في مقدمتها الحركة العلمية من خلال إيجاد المرافق اللازمة لها كالمساجد والمدارس...، واقتناء الكتب واستقطاب العلماء وإكرامهم.

والدولة المرينية هي الأخرى اختلفت الأوضاع الاقتصادية بها باختلاف الملوك الذين تعاقبوا عليها[2]، وقد أشادت المصادر بازدهار العديد من مدنها هي الأخرى[3]وقد تميزت بصفة خاصة في العصر المريني الأول، ومردّ ذلك بدرجة أساس إلى الغنائم التي جنوها في انتصاراتهم المتوالية في المغربين الأوسط والأدنى وحتى في الأندلس برسم الجهاد ضد النصارى[4].

فنشطت الفلاحة بسبب اهتمام المرينيين بها من خلال تقديم مساعدات للفلاحين مثل إقدام السلطان أبي الحسن المريني على توزيع قطع أرضية على الأيتام في مختلف القبائل[5]، والاهتمام بالري وجلب المياه وإجراء السواقي في سائر المدن [6]، وبلغ الاهتمام المريني غايته مع السلطان أبي عنان عن طريق بناء النواعير [7]، فعمت المنتوجات الفلاحية المتنوعة ورخصت الأسعار[8].

---

[1]- المرجع نفسه،ص. 185.

[2]- إبراهيم حركات، المغرب عبر التاريخ، ص. 150.

[3]- أنظر مثلا: الشريف الإدريسي، المصدر السابق،ص. 68، 77،73، 80.

[4]- ابن أبي زرع، الأنيس المطرب...،ص 315، مؤلف مجهول، مفاخر البربر،ص. 44؛ من مقدمة المحقق، ألفرد بل، الفرق الإسلامية في الشمال الإفريقي من الفتح العربي حتى اليوم، ترجمه عن الفرنسية: عبد الرحمن بدوي، دار الغرب الإسلامي، بيروت،ط2، 1401ه/1981م،ص. 316.

[5]- ابن مرزوق، المسند...،ص. 420.

[6]- المصدر نفسه،ص. 417؛ عيسى الحريري، تاريخ المغرب الإسلامي والأندلس في العصر المريني (610ه/1213م) / (869ه/1465م)، دار القلم الكويت، ط2، 1407ه/1987م،ص. 328.

Tariq Madani, L'eau dans le monde musulman médiéval l'exemple de Fés (Maroc) et de sa région, thèse pour obtenir le grade de docteur de l'université Lyon II en histoire, 2003,II partie. وأنظر ملحق الصور

[7]- ابن الحاج النميري، فيض العباب وإفاضة قداح الآداب في الحركة السعيدة إلى قسنطينة والزاب، تحقيق: محمد ابن شقرون، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1412ه/1990م،ص. 174-175،211.

[8]- ابن أبي زرع، الأنيس المطرب...،ص. 302؛ محمد المنوني، ورقات...،ص 148-149.

كما استفادت الصناعة من اهتمام الأمراء والملوك في تنظيمها وتوجيهها، فكان لكل فرقة من الصناع أمين يتم اختياره من بينهم لتنظيم مصالحهم [1]،وخصصت لكل صناعة دور خاصة بها منها على سبيل المثال مدينة سبتة التي احتوت على أربعين منجزة (دور صناعة السفن)[2].

وبالتالي ازدهرت الحركة التجارية بشقيها الداخلي والخارجي، وكان للتجار بدورهم أمين يشرف على مصالح المهنة [3]، ومن مظاهر ذلك الازدهار الفنادق التي كانت ملتقى التجار من شتى النواحي والبلدان [4]، والاهتمام بالقناطر والجسور وتأمين الطرق [5]، وكانت التجارة الداخلية منظمة وتخضع الأسعار للمراقبة خاصة القمح خشية ارتفاع أسعاره أيام الجفاف والحروب[6]، فكان العمل على إيجاد مخازن له منها بعض الفنادق التي خصصت لاختزان الزرع والمطامير[7].

أما بالنسبة للتجارة الخارجية فقد تعددت المراكز التجارية كفاس ومراكش وسجلماسة وتلمسان (أيام الاستيلاء المريني).

وعلى العموم وجد بنو مرين في الموارد المالية لتلك النشاطات الاقتصادية مصدرا لتمويل مشاريعهم الحضارية في دولتهم أو المناطق التي حكموها، ومن أهمها الاهتمام بأهل العلم وتوفير متطلباتهم، ومكافأتهم على إبداعاتهم.

---

[1]- محمد المنوني، المرجع السابق، ص. 147.

[2]- محمد بن القاسم الأنصاري السبتي، اختصار الأخبار عما كان بثغر سبتة من سني الآثار، تحقيق: عبد الوهاب بن منصور،ط2، 1403ه/1983م،ص. 37.

[3]- محمد المنوني، ورقات...،ص. 147.

[4]- عيسى الحريري، المرجع السابق،ص. 327.

[5]- ابن مرزوق، المسند...،ص. 418-429.

[6]- محمد المنوني، ورقات...،ص. 146.

[7]- بلغ عدد فنادق مدينة سبتة على سبيل المثال ثلاثمائة وستين فندقا خصص عددا منها لاختزان الزرع ونحو أربعين ألف مطمورة لنفس الغرض ينظر: (الأنصاري السبتي، المصدر السابق،ص. 38-42).

ثالثا– الأوضاع الثقافية:

قد يتبادر إلى الذهن أن الحالة الفكرية والعلمية قد أخذت نفس منحى الأوضاع السياسية والأمنية التي سبق الحديث عنها، ولكن من المفارقات ومن غرائب مجريات الأحداث أن الحركة العلمية كانت عكس ذلك تماما[1]، بل إن الثقافة العربية الإسلامية[2] في المغرب الإسلامي عامة كانت مزدهرة في القرن الثامن الهجري الرابع عشر الميلادي وامتد هذا الازدهار إلى القرن التاسع الهجري الخامس عشر للميلاد [3] وذلك بنبوغ عدد كبير من من رجال العلم والأدب وبروز إنتاج ثقافي غزير[4].

ومع هذا نجد أن بعض الجوانب كانت موضع نقاش بين أكبر علماء العصر، منها ظاهرة التأليف باعتبارها تعبيرا صادقا عن ثقافة المجتمع ورصدا حقيقيا وأمينا لعلوم العصر بكل ما تحتويه من كثرة قلة، أو ضعف وقوة، أو تقليد واجتهاد[5]، وقد صورها لنا القاضي القاضي

---

[1]– محمد مشنان: " المؤسسات العلمية الثقافية في تلمسان الزيانية" في مجلة: رسالة المسجد ، تصدر عن وزارة الشؤون الدينية والأوقاف، العدد التجريبي، جمادى الأول/جويلية، 1424ه/2003م، الجزائر،ص. 56.

[2]– نظرا لاتّساع مدلول كلمة (الثقافة) نشير إلى الغرض المقصود هنا وهو الازدهار العلمي والفكري بكل ما يحويه من نشاط للعلماء وما ينجم عنه من إسهام حضاري حول هذه الفكرة، ينظر (عبد الحميد حاجيات: "تلمسان مركز الإشعاع الثقافي في المغرب الأوسط " في مجلة: الحضارة الإسلامية، صدرت عن المعهد الوطني للتعليم العالي للحضارة الإسلامية، العدد الأول، شوال/أفريل، 1414ه/1993م، وهران،ص. 215).

[3]– عبد الحميد حاجيات:" الحياة الثقافية بالمغرب الأوسط في العصر السنوسي" في مجلة: الثقافة، تصدر عن وزارة الثقافة، العدد 114، 1416ه/1997م،ص. 20.

[4]– عبد الحميد حاجيات، المرجع نفسه، ص. 22؛ أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي من القرن العاشر إلى القرن الرابع عشر الهجري (16–20م)، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1401ه/1981م، ج1،ص. 27.

[5]– عبد الجليل قريان، "حركة التأليف بتلمسان في العهد الزياني 633-962ه/1235-1554م" في دورية: قرطاس الدراسات الحضارية والفكرية، تصدر عن مخبر الدراسات الحضارية والفكرية كلية العلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية، جامعة تلمسان، العدد التجريبي، ديسمبر، 1429ه/2008م، ص.151.

أبو عبد الله محمد المقري نقلا عن شيخه أبي عبد الله إبراهيم الأبلي [1] بقوله: "إنما أفسد العلم كثرة التآليف [2]"، وهو الموضوع الذي عقد له ابن خلدون فصلا في مقدمته في أن كثرة التأليف في العلوم عائقة عن التحصيل[3].

فالتآليف الرديئة التي غمرت الحياة الثقافية ساهمت في إفساد العلم الشرعي بصفة خاصة، والابتعاد عن استمداده من مصادره الأساسية [4]، وأمام قصور الهمم عن الاجتهاد ركن الناس إلى التقليد والاقتصار على النقل عمن تقدم، وانصرفوا لشرح كتب المتقدمين وتفهمها ثم اختصارها[5].

وقد لقي هذا الأسلوب (الاختصار) معارضة شديدة من قبل العديد من العلماء يقول القاضي المقري:" ولقد استباح الناس النقل من المختصرات الغريبة أربابها ونسبوا ظواهر ما فيها لأمهاتها "[6].

[1]- ترجمة هذين العالمين في الفصل الثاني من هذه الدراسة.

[2]- أبو العباس أحمد الونشريسي، المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوى علماء إفريقيا والأندلس والمغرب، تحقيق: محمد حجي وآخرون، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، الرباط، 1403ه/1983م، ج2، ص. 479-480؛ ابن مريم، المصدر السابق، ص. 216.

[3]- عبد الرحمن بن خلدون، المقدمة، تحقيق: خليل شحادة، دار الفكر، بيروت1428ه/2007م، الفصل الرابع والثلاثون ص. 578.

[4]- عبد الجليل قريان، المرجع السابق، ص. 168.

[5]- محمد بن الحسن الحجوي الثعالبي، الفكر السامي في تاريخ الفقه الإسلامي، مطبعة النهضة، تونس، 1335ه/1916م، ج4، ص.2.

[6]- الونشريسي، المصدر السابق، ج2،ص. 479-480؛ ابن مريم ، المصدر السابق، ص. 217.

وعلى هذا الموقف العلامة أبو العباس أحمد القباب [1] في حكايته المشهورة مع ابن عرفة[2] حول منهجية تأليفه للمختصر الفقهي وقوله: "ما صنعت شيئا...لأنه لا يفهمه المبتدئ ولا يحتاجه المنتهي"[3] .

وذهب إلى هذا الرأي العديد من العلماء [4] كان لكل منهم رؤيته وأسبابه لرفضه الاختصار كمنهج في التأليف.

وإذا كانت مواقف أولئك العلماء من الاختصار في العلم الشرعي فقط فإن اعتراض ابن خلدون أشمل وأوسع، فهو يقف موقف الرفض لمنهج الاختصار في كل العلوم[5]، ويرى أنها طريقة مخلة بالتعليم ويقرر أنه " ذهب كثير من المتأخرين إلى اختصـــار اختصـــار

---

[1]- هو أبو العباس الدين قاسم من أئمة فاس اشتهر بالقباب ت (778ه/1376م) عنه أنظر:(لسان الدين بن الخطيب، الإحاطة...ج1، ص. 187-188؛ أحمد بن القاضي المكناسي،جذوة الاقتباس في ذكر من حل من الأعلام مدينة فاس، دار المنصور، الرباط، 1393ه/1973م، ص. 123؛ أحمد بابا التنبكتي، كفاية المحتاج لمعرفة من ليس في الديباج، تحقيق: علي عمر، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة 1425ه/2004م، ج 1، ص 49؛ حسن عزوزي، "التأليف في القراءات القرآنية وخصائصه بالمغرب والأندلس في القرن الثامن الهجري "، في مجلة: الحضارة الإسلامية، العدد الأول، 1414ه/1993م،ص. 245؛ أحمد الريسوني، نظرية المقاصد عند الإمام الشاطبي، الدار العلمية للكتاب الإسلامي، الرياض، ط 4، 1416ه/ 1995م، ص. 134- 139.

[2]- أبو عبد الله محمد بن محمد بن عرفة الورغمي من كبار أئمة عصره من مؤلفاته مختصره في الفقه وكتاب الحدود الفقهية ت 803ه/1400م، عنه ينظر: (لسان الدين بن الخطيب، الإحاطة ...ج 1، ص. 278؛ أبو العباس أحمد بن القاضي المكناسي، ذيل وفيات الأعيان المسمى درة الحجال في أسماء الرجال، تحقيق: محمد الأحمدي أبو النور، دار التراث، القاهرة المكتبة العتيقة، تونس، 1390ه/1970م، ج2، ص. 280؛ ابن فرحون إبراهيم بن علي، الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب، تحقيق: محمد الأحمدي، دار التراث، القاهرة، 1392ه/1972م، مج2،ص. 331؛ محمد بن محمد الأندلسي الوزير السراج، الحلل السندسية في الأخبار التونسية، تحقيق: محمد الحبيب الهيلة، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1405ه/1985م،ص. 561-573).

[3]- وقد اختلفت المصادر بين مثبت لهذه الواقعة ومشكك لحدوثها، ينظر: (أحمد بابا التنبكتي، كفاية المحتاج...،ج 1، ص. 41؛ محمد المنوني، ورقات...،ص. 469؛ أبو سليمان عبد الكريم قبول، الاختصار والمختصرات في المذهب المالكي، دار الفجر، الجزائر، 1427ه/2006م، ص. 69).

[4]- أبو سليمان عبد الكريم قبول، المرجع السابق ، ص. 65-77.

[5]- المرجع نفسه ،ص. 72.

الطرق والأنحاء في العلوم، يولعون بها ويدونون منها برنامجا مختصرا في كل علم يشتمل على حصر مسائله وأدلتها باختصار في الألفاظ وحشو القليل منها بالمعاني الكثيرة، وصار ذلك مخلا بالبلاغة وعسيرا على الفهم "[1].

فابن خلدون إلى جانب رفضه للاختصار كطريقة للتأليف: فهو أشد استنكارا لمن يعمد إلى جعل تلك المختصرات في العلوم هي المقررات الأساسية في الدراسة لأخذ علم ما، " وهو فساد في التعليم وفيه إخلال بالتحصيل، وذلك لأن فيه تخليطا على المبتدئ بإلقاء الغايات من العلم عليه، وهو لم يساعد لقبولها بعد "[2].

لكن هذا لا ينفي وجود إيجابيات لاختصار بعض الكتب المطولة وجعلها مشكاة للطالب يستعين بها في دراسته[3].

وعلى العموم ليس غرضنا مناقشة قضية الاختصار كمنهج في التأليف، وإنما أوردناها كمثال يعكس جانبا مما ميز الأوضاع الثقافية للمنطقة، وأمام شهادة واحد من ذلك العصر كابن خلدون مع اعتباره هو نفسه وفكره أبرز عناوين التجديد، نجده يشهد بتراجع العلم بالمغرب [4]، نطمئن إلى الأخذ بالقول أن ذلك العصر مزيج من الازدهار والتقهقر[5]، وبعبارة أوضح، تميز الوضع بنوع من الازدواجية، فكما نجد ما يشير إلى التقليد التقليد والتحجر نعثر أيضا على مقومات التجديد.[6]

---

[1]- عبد الرحمن بن خلدون، المقدمة،ص. 582-583.

[2]- المصدر نفسه،ص. 583.

[3]- أبو سليمان عبد الكريم قبول، المرجع السابق،ص. 78-83.

[4]- أبو عبد الله محمد بن مرزوق التلمساني، المناقب المرزوقية، تحقيق: سلوى الزاهري، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، 1429هـ/2008م، ص. 51 من مقدمة المحققة.

[5]- عبد المجيد تركي، قضايا ثقافية من تاريخ الغرب الإسلامي نصوص ودراسات، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1409هـ/1988م،ص. 413.

[6]- ابن مرزوق، المناقب المرزوقية، ص. 51 من مقدمة المحققة.

الفصل الأول

علماء تلمسان بين الاهتمام الزياني والمنافسة المرينية

- تمهيد
- أولا– عوامل ازدهار الحركة العلمية بتلمسان
- ثانيا– مكانة العلماء عند سلاطين بني زيان
- ثالثا– جهود بني مرين لاستقطاب علماء تلمسان

تمهيد:

إنّ تراجم العلماء الذين نبغوا في تلمسان قبل تأسيس الدولة العبد الوادية تؤكد ازدهار الحركة العلمية [1]، وهو ما يتوافق مع وصف أبي عبيد البكري:" و لم تزل تلمسان دارا للعلماء والمحدثين وحملة الرأي على مذهب مالك بن أنس رحمه الله..." [2]، فبعد المحنة التي عاشوها في ظل ما جاء به المهدي بن تومرت سيما في مجال العقيدة وخروجهم منتصرين، حيث عادوا إلى المذهب المالكي في الفقهيات بصفة نهائية لكن بمرونة وانتشار أكبر مما كان سابقا [3]، وكانت لهم مكانة خاصة كفئة مميزة في المجتمع سيما من جانب الحكام، فملوك الدولة الزيانية ساروا على السياسة التي كانت سائدة خلال العهد الموحدي حيث أحبوا العلم وقربوا العلماء من مجالسهم وأكرموا وفادتهم[4].

وبدورهم بنو مرين وبعد نجاحهم في تأسيس دولتهم اتجهوا نحو تشجيع العلم وإقامة معالم العمران[5].

ولما كان العلماء من أهم عناصر بعث الحياة العلمية سعى كل طرف إلى اجتذاب أكبر عدد منهم إلى حاضرته وتقريبهم من مجالسه، والعناية بهم وإكرامهم، فكانوا بحق موضع منافسة بينهما.

---

[1]- محمود بوعياد، جوانب من الحياة في المغرب الأوسط في القرن التاسع الهجري (15م)، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1402ه/1982م،ص. 47.

[2]- المصدر السابق،ص 77، علي الجزنائي، جني زهرة الآس في بناء مدينة فاس، تحقيق: عبد الوهاب بن منصور، ط 2، 1411ه/1991م،ص. 20.

[3]- محمود بوعياد، جوانب...، ص. 49؛ عبد العزيز فيلالي، المرجع السابق،ج2،ص. 380.

[4]- لخضر عبدلي، الحياة الثقافية بالمغرب الأوسط في عهد بني زيان 633ه/962م/1235-1554م، أطروحة دكتوراه دولة في التاريخ الإسلامي، قسم التاريخ، جامعة تلمسان، 1426ه/2005م،ص. 90،138.

[5]- محمد المنوني، ورقات...،ص. 19.

أولا- عوامل ازدهار الحركة العلمية بتلمسان:

1- اهتمام سلاطين بني زيان بالعلم والعلماء:

ساهمت مجموعة من العوامل في ارتقاء تلمسان إلى مصاف أهم مراكز الإشعاع الثقافي في العالم الإسلامي [1]، في مقدمتها تلك النزعة العلمية والثقافية التي تميز بها أمراء وسلاطين بني زيان[2] - شأنهم في ذلك شأن أغلب أمراء وملوك الدول الإسلامية المعاصرة لهم مشرقا ومغربا- فرغم تنافسهم على السلطة، وانشغالهم بالحروب ومواجهة الفتن الداخلية، فإنهم لم يعدموا شرف تشجيع العلماء على التدريس والإنتاج والتأليف [3]، إذ زيادة على أنهم كانوا على جانب من الثقافة فإنهم أيضا يقدّرون رجال الفكر ويرفعون مكانتهم [4]، سيما أن روح العصر السائدة لدى أولئك الأمراء والسلاطين تتمثل في تقريب وجمع أكثر ما يمكن من العلماء والأدباء حولهم خاصة سلاطين بني مرين [5]، سواء كان أولئك العلماء من سكان البلاد أو القادمين إليها من مختلف الحواضر المغربية والأقطار الإسلامية بما فيها العدوة الأندلسية[6].

والمصادر حافلة بإسهامات سلاطين بني زيان في تفعيل الحركة الثقافية بتلمسان، والبداية كانت مع ماهد الدولة وموطّد أركانها يغمراسن بن زيان الذي أهلتــه شخصيته لقيادة قبيل بني عبد الواد لا على الصعيد السياسي فحسب، وإنما قيادة ركب الحضارة أيضا [7]، وهو ما

[1]- محمد الطمار، الروابط الثقافية بين الجزائر والخارج، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1403ه/1983م،ص. 215؛ Atallah Dhina, op. cit, p.4

[2]- عبد العزيز فيلالي: تلمسان...،ج2،ص. 319؛ عيسى بن الذيب وآخرون، الحواضر والمراكز الثقافية في الجزائر خلال العصر الوسيط، منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954م، الجزائر، طبعة خاصة وزارة المجاهدين، 1428ه/2007،ص. 145.

[3]- محمد مشنان، المرجع السابق،ص. 56.

[4]- محمد المنوني، ورقات...،ص. 234.

[5]- أبو عبد الله محمد بن القاسم الرعيني القيرواني (بن أبي دينار)، المؤنس في أخبار إفريقية وتونس، تحقيق: محمد شمام، المكتبة العتيقة، تونس، ط3، 1387ه/ 1967م، ص. 134؛محمد العروسي المطوي، المرجع السابق،ص. 542؛ خالد بلعربي، المرجع السابق، ص.223.

[6]- عبد العزيز فيلالي، المرجع السابق، ج2،ص. 319؛ أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق، ج1،ص 35.

[7]- لخضر عبدلي: التاريخ السياسي...،ص. 99-100.

يظهر من سيرة هذا السلطان حيث أشادت بها معظم المصادر التي أرخت له [1] خاصة معاملته لأهل العلم، فقد كان "... يبحث عنهم أين ما كانوا ويستقدمهم إلى بلده " [2] ومثال ذلك أبو إسحاق إبراهيم بن يخلف التنسي[3]، الذي ركب إليه بنفسه لاستقدامه وأكرم مثواه وأحسن إليه إليه لا لشيء إلا لينشر العلم في بلده على حد قوله:" ما جئتك إلا راغبا منك أن تنتقل إلى بلدنا تنشر فيها العلـــم وعلينا جميـــع ما تحتاج ".[4]

ثم التحق به أخوه أبو الحسن [5] الذي خلفه في نفس الوظيفـــة، ومن الصلحـــاء الذين نالوا الحظـــوة والتقديـــر أبو عبـــد الله محمـــــــد بن مرزوق[6]، ولا يخفى على أحد صنيع هذا

هذا

---

[1]- يحيى بن خلدون، المصدر السابق، ج 1، ص. 204؛ عبد الرحمن بن خلدون، العبر...،ج 7،ص106؛ التنسي، المصدر السابق،ص. 111.

[2]- التنسي، المصدر نفسه، ص.126.

[3]- هو إبراهيم بن يخلف بن عبد السلام بن عيشون المطماطي التنسي سليل أسرة معروفة بالعلم والصلاح نشأ بمسقط رأسه مدينة تنس وأخذ عن مشايخها ثم انتقل إلى مدن: مليانة وشلف والجزائر وبجاية، وانتهت إليه رئاسة التدريس والفتوى في تلك الأقطار ثم رحل إلى المشرق فزار مصر والشام والحجاز، وبعد عودته إلى المغرب استقر بتلمسان يدرس بها وبها توفي سنة 680ه/1281م، ومدفنه بالعباد بطلب منه، له شرح كبير على كتاب تلقين المبتدئ وتذكرة المنتهي للقاضي أبي محمد عبد الوهاب بن نصر البغدادي في عشرة أسفار، ضاع في حصار تلمسان:(يحي بن خلدون، المصدر السابق،ج1،ص. 114؛ ابن مرزوق، المناقب المرزوقية،ص. 151، 273-274، 278، 281، 283، 293؛ التنسي، المصدر السابق،ص. 126، ابن مريم، المصدر السابق،ص. 66-67؛ التنبكتي، كفاية المحتاج...،ج1،ص. 81؛ عبد العزيز فيلالي، تلمسان...،ج 2، ص.329؛ عبد الحميد حاجيات، أبو حمو موسى الزياني...،ص. 42؛ عادل نويهض، معجم أعلام الجزائر، مؤسسة نويهض الثقافية، بيروت،ط 3، 1403ه/1983م،ص. 122).

[4]- وفي رواية أخرى، أنه قال:" جئتك راغبا منك أن تقيم ببلدنا، لتحيي بها العلم: ابن مرزوق، المناقب المرزوقية...، ص. 275.

[5]- أبو الحسن التنسي تربى في حجر أخيه أبي إسحاق، رحل إلى بجاية وقرأ بها على من أدرك من العلماء فيها، أجلسه أخوه مكانه في آخر عمره للتدريس والفتوى، حظي بمكانة مرموقة عند السلطان يغمراسن ثم ابنه عثمان، وأصبح فقيه حضرة السلطان المريني أبي يعقوب بعد التحاقه ببلاطه في ظروف نتحدث عنها في غير هذا الموضع ينظر(ابن مرزوق، المناقب المرزوقية...، ص. 287-294-298؛ ابن مريم، المصدر السابق، ص.123؛ عادل نويهض، المرجع السابق،ص.84-85).

[6]- هو أبو عبد الله محمد بن محمد بن أبي بكر بن مرزوق بركة بيت المرازقة وأول مشاهير أسرتهم، متصوف على طريقة أبي مدين شعيب ولد بتلمسان ونشأ بها، ولم يذكر أنه خرج منها (ت 681ه/1282م) : ابن مرزوق، المناقب المرزوقية، ص. 149-173؛ ابن مريم، المصدر السابق، ص.226؛ نصر الدين بن داود، بيوتات العلماء بتلمسان من القرن 7ه/13م إلى 10ه/16م، أطروحة دكتوراه في التاريخ الوسيط، قسم التاريخ وعلم الآثار، جامعة تلمسان، 1431ه/2010م، ص93).

السلطان مع الوافد الأندلسي أبي بكر محمد بن خطاب المرسي[1].

و لم يكن السلطان أبو سعيد عثمان أقل همة من والده في العناية بأهل العلم والاحتفاء بهم، فاحتفظ بمن كان في بلاط أبيه وألحق بهم من توسّم فيه النباهة والتميز وأبرز مثال أبو عبد الله محمد بن خميس التلمساني[2].

وكان السلطان أبو حمو موسى الأول أول من دشّن مشروع بناء المدارس في المغرب الأوسط ببناء مدرسة باسم الأخوين المعروفين بابني الإمام وأسند لهما مهمة التدريس بها، إلى جانب كونهما محل اهتمامه ومرجع استشارته[3].

وفي عهد أبي تاشفين الأول بنيت المدرسة التاشفينية التي طارت شهرتها في الآفاق، وليس أقل شهرة منها العالم الذي تصدّر للتدريس بها وهو أبو موسى عمران المشدالي " أعرف أهل عصره بمذهب مالك " [4]، كما شهدت مجالس هذا السلطان أكثر المناظرات والمناقشات علما وفضلا بين خيرة علماء العصر وأجلهم، شملت مختلف الجوانب العلمية[5].

---

[1]- هو أبو بكر محمد بن عبد الله بن داود بن خطاب الغافقي المرسي، استقر بتلمسان وأصبح صاحب القلم الأعلى لدى يغمراسن بن زيان ثم لدى ابنه أبي سعيد عثمان إلى سنة 683ه/1283م، (لسان الدين بن الخطيب، الإحاطة في أخبار غرناطة، تحقيق: محمد عبد الله عنان، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1393ه/1973م، ج2، ص. 427؛ عبد الرحمن ابن خلدون، العبر،...ج7،ص106، التنسي، المصدر السابق،ص. 127-128.)

[2]- أبو عبد الله محمد بن عمر بن خميس التلمساني العالم الصوفي، ولد بتلمسان سنة 650ه/1251م، عرف بآرائه الفلسفية فأتهم بالزندقة وتمت محاكمته ثم قتله 708ه/1308م ينظر: (يحي بن خلدون، المصدر السابق، ج1،ص. 109-112؛ أبو الحسن النباهي المالقي، المرتبة العليا فيمن يستحق القضاء والفتيا، منشورات دار الآفاق الجديدة، بيروت،ط 5، 1403ه/1983م،ص 135؛ عبد الحميد حاجيات، أبو حمو موسى الزياني...، ص.51).

[3]- التنسي، المصدر السابق، ص. 139؛ عبد الحميد حاجيات، الحياة الثقافية بالمغرب الأوسط في العصر السنوسي...،ص 21.

[4]- التنسي، المصدر نفسه،ص. 141.

[5]- الونشريسي، المصدر السابق، ج6،ص. 361-362؛ ابن مريم، المصدر السابق،ص. 127، أبو العباس أحمد المقري، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، تحقيق: إحسان عباس،دار صادر،بيروت، 1408ه/1988م، ج5،ص. 218-219؛ ولنفس المؤلف، أزهار الرياض في أخبار عياض، تحقيق: سعيد أحمد أعراب وعبد السلام الهراس، صندوق إحياء التراث الإسلامي، 1400ه/1980م، ج5،ص. 218-219.

إلى جانب عدد من المناظرات في حضرة سلاطين آخرين، فقد كانت من أهم ما ميز المشهد الثقافي لهذه الفترة تناولت الفقه المالكي بالدرجة الأولى إلى جانب التفسير والتصوف والكلام واللغة والنقد الأدبي وغير ذلك [1]، وجاءت أحيانا بين أطراف من مناطق مختلفة حفظتها كتب النوازل والفتاوى لأهميتها وفائدتها[2].

ليستمر النمو الثقافي مع محيي الدولة الزيانية السّلطان أبو حمو موسى الثاني [3] الذي أهّله ما نهله من العلم وهو صغير أن يصبح في كبره سلطانا أديبا شاعرا [4] يشهد على مكانته كتابه " واسطة السلوك في سياسة الملوك" الذي يدل على " ذهنه الثاقب وعباراته الطلقة إذ طالع الكتب فاستخرج دررها وأحسن نظمها "[5].

فأبو حمــو موسى لخّص في كتابه واسطة السلوك:كتــاب سلوان المطــاع[6] وزاد عليه

عليه

---

[1]- محمد المنوني، ورقات...،ص. 389.

[2]- أبو عبد الله علي بن محمد بن أحمد بن مرزوق الحفيد، نوازل ابن مرزوق، مخطوط بالمكتبة الوطنية الجزائرية، رقم 1342، الورقات: 20،21،22،25، وهو مليء بالمناظرات بين علماء من مختلف الأقطار؛ الونشريسي، المصدر السابق، ج 6، ص. 361-362؛ أبو زكريا يحي المغيلي المازوني، الدرر المكنونة في نوازل مازونة، تحقيق: حساني مختار، نشر مخبر المخطوطات قسم علم المكتبات كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة الجزائر، 1425ه/2004م، ج 2، ص. 635، أبو العباس المقري، نفح الطيب ،ج5،ص. 218-219؛ أبو عبد الله محمد بن قاسم العقباني، تحفة الناظر وغنية الذاكر في حفظ الشعائر وتغيير المناكر، تحقيق: علي الشنوفي، المطبعة الكاثوليكية، لبنان، 1967م، ص.97؛ ابن مريم، المصدر السابق،ص. 127؛ رابح بونار، القاضي سعيد العقباني التلمساني " في مجلة: الأصالة، العدد الخامس، ذو الحجة / جانفي، 1391ه/1973م، ص. 68-72.

[3]- عبد الحميد حاجيات، أبو حمو موسى الزياني...، ص. 227.

[4]- عبد العزيز فيلالي، المرجع السابق، ج2،ص. 305.

[5]- حاجي خليفة، المرجع السابق، مج2،ص. 43.

[6]- سلوان المطاع في عدوان الأتباع لأبي عبد الله بن أبي محمد عبد الله بن محمد بن ظفر الصقلي، يعد من أهم ما أنتجه الأدباء العرب في فن أخلاق الملوك، وهو يحتل مكانة مرموقة ضمن التراث الفكري العالمي وقد طبع ونشر عدة مرات، للمزيد من التفصيل عن شخصية ابن ظفر الصقلي ومؤلفه، أنظر(عبد الحميد حاجيات، أبو حمو موسى الثاني...،ص. 194؛ ولنفس المؤلف:" نظرية ابن ظفر الصقلي في أخلاق الملوك (من خلال كتاب سلوان المطاع) " في مجلة: الثقافة، العدد 92، جمادى الثانية وجب/ مارس أفريل السنة 16، 1406ه/1986م،ص.77-89).

فوائد[1]، حيث نقـــل ثلاث قصص هي أطـــول ما ورد في سلوان المطاع من الحكايات[2]، إلى جانب استعانته بكتب السياسة التي توافق نظريته[3].

كما اعتنى السلطان أبو زيان محمد بن أبي حمو (ت 801ه/1399م) بالعلم، فعقد المناظرات في مجلسه، ونسخ الكتب بيده، كما ألف كتابا في التصوف سماه " الإشارة في حكم العقل بين النفس المطمئنة والنفس الأمارة "[4].

من جانبه السلطان أبو العباس أحمد (ت 866ه/1462م) أعاد إحياء ما اندثر من مراكز العلم وأوقف الأوقاف عليها[5].

كما عني أولئك السلاطين بإنشاء المكتبات وتعميرها بنوادر الكتب والمخطوطات ومثال ذلك المكتبة التي أنشأها السلطان أبو حمو موسى الثاني سنة 760ه/1359م[6]، وهو ما نجده عند سلاطين آخرين إلى جانب حرصهم على نسخ واقتناء مت وصلت إليه العلوم في تلك المرحلة.

2- تشييد المؤسسات التعليمية:

بالرغم من انشغال بني عبد الواد بتأمين وجودهم والدفاع عن حوزة بلادهم، عن التعمير والبناء بسبب الصراع السياسي والعسكري خاصة من الجانب المريني وحصاراته [7]

---

[1]- أبو عباس المقري، أزهار الرياض في أخبار عياض، تحقيق: مصطفى السقا وآخرون، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر القاهرة، 1358ه/1939م، ج1، ص. 149.

[2]- عبد الحميد حاجيات، نظرية ابن ظفر الصقلي...،ص89.

[3]- محمد محمود عبد الله بن بية، الأثر السياسي للعلماء في عصر المرابطين، دار الأندلس الخضراء، جدة /دار ابن حزم، بيروت، 1421ه/200م، ص. 113؛ محمد الأمين بلغيث، النظرية السياسية عند المرادي وأثرها في المغرب والأندلس، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1410ه/1989م، ص. 65-66.

[4]- التنسي، المصدر السابق، ص.211.

[5]- المصدر نفسه، ص. 247-248.

[6]- يحي بن خلدون، المصدر السابق، ج1،ص. 246.

[7]- عبد الحميد حاجيات وآخرون، كتاب مرجعي...ص. 190؛ جورج مارسي مدن الفن الشهيرة: تلمسان، ترجمة: سعيد دحماني دار النشر التل، الجزائر، 1425ه/2004م، ص. 34؛ خالد بلعربي، المرجع السابق، ص.81.

المتوالية، فإن الملوك الزيانيين لم يدخروا جهدا في الظهور بمظهر الحكام المولعين بالعلم والمقدرين لأهله كلما سمحت الظروف[1].

وعلى العموم، فقد تنوّعت مراكز التعليم في الدولة الزيانية فشملت الكتاتيب والمساجد والزوايا والمدارس وبيوت العلماء وحوانيت الوراقين والمجالس المختلفة بما فيها مجالس السلاطين... كان لكل منها مميزاتها وظروفها.

1-2 الكتاتيب:

تعدّ من أقدم المعاهد التعليمية في العالم الإسلامي [2]، واكب انتشارها توسع الفتوحات الإسلامية وتحمّس الناس الشّديد للقرآن الكريم[3].

وكانت في العادة عبارة عن غرفة بسيطة مفروشة بالحصر يتحلق فيها التلاميذ فيها حول المعلم [4]، يقوم بإنشائها في الغالب الأوليـــاء الميسورون واعتبـــارها صدقـــة جارية[5]، وعليهم دفع الإيجار إذا كان المعلم المبادر بالبحث عن محل لتعليم الصبيان واستئجاره[6].

---

[1]- ومع هذا يلاحظ قلة المباني والمؤسسات والمرافق العامة التي شيدها بنو عبد الواد في تلمسان وغيرها من مدن المغرب الأوسط إذا ما قورنت بفترة حكمهم الطويلة نسبيا، والتي تربو عن الثلاث قرون:عبد العزيز لعرج، المباني المرينية...،ص. 32.

[2]- محمد مكيوي: "المؤسسات التعليمية في العهد الزياني القرن 8ه/14م" في مجلة: الفكر الجزائري، يصدرها مخبر المرجعيات الفلسفية والفنية للتفكير البلاغي والنقدي، العدد الرابع،1430ه/2009م، الجزائر، ص. 91.

[3]- محمد بن سحنون، كتاب آداب المعلمين تحقيق: محمود عبد المولى، الشركة للنشر والتوزيع، الجزائر،ط 2 1401ه/ 1981م، ص. 62 من مقدمة المحقق.

[4]- عاشور بوشامة، المرجع السابق،ص. 422؛ لخضر عبدلي، الحياة الثقافية...،ص. 92-106.

[5]- الونشريسي، المصدر السابق ج8،ص. 156.

[6]- محمد بن سحنون، المصدر السابق،ص. 90.

ورغم عدم توفر إحصائيات حول العدد الفعلي لهذه المؤسسة [1]، إلا أن هذا لا ينفي دورها في انتشار التعليم في شتى المدن والقرى، رغم انحصاره في مرحلة أولى في تعلم الكتابة والقراءة وحفظ القرآن الكريم[2].

2-2 المساجد:

للمسجد في المجتمع الإسلامي وظيفتان: دينية وثقافية [3]، وقد بدأ نشاطه في مدينة تلمسان مع أول مسجد بني بها بما ورثته من تراكم حضاري إسلامي وهو ما ساهم في جعلها مركز إشعاع حضاري في العهد الزياني[4].

لكن من الصعوبة الجزم بأسماء كل المساجد التي تواجدت بتلمسان وضواحيها، أو حتى عددها ويبقى هذا الأمر محل اجتهاد الباحثين، إذ تفيدنا إحدى الدراسات أن عددها بلغ حوالي الستين مسجدا[5]، اشتهرت منها المساجد التالية:

1- **المسجد الجامع بأغادير** : هو أول وأقدم مسجد بني بتلمسان من قبل إدريس الأول سنة 174ه/790م وصنع له منبرا [6] إذ يعتبر هذا الأخير من أقدم عناصر المسجد

---

[1]- عاشور بوشامة، المرجع السابق،ص. 424.

[2]- عبد الحميد حاجيات، أبو حمو موسى الزياني...،ص. 35؛ حسن عزوزي، المرجع السابق،ص. 241؛ كمال السيد أبو مصطفى ، جوانب من الحياة الاجتماعية والاقتصادية والدينية والعلمية في المغرب الإسلامي من خلال نوازل وفتاوى المعيار المعرب للونشريسي، مركز الإسكندرية للكتاب، الإسكندرية، 1418ه/ 1997م، ص.113.

[3]- عبد الله كنون، النبوغ المغربي في الأدب العربي، الدار البيضاء، ب.ت.ج 1، ص.47؛ عبد العزيز لعرج:" تلمسان عمرانها وعمارتها الدينية،" في مجلة: الوعي، تصدر في إطار تلمسان عاصمة الثقافة الإسلامية، العدد المزدوج (3-4) جمادى الأولى والثانية 1432ه/ أفريل ماي 2011م، الجزائر، ص. 31.

[4]- عبد العزيز لعرج: " المساجد الزيانية بتلمسان عمارتها وخصائصها " في حوليات جامعة الجزائر، العدد السادس، الجزء الأول: ديوان المطبوعات الجامعية، 1413ه/1992م، الجزائر، ص. 105.

[5]- Brosselard (ch) : » les inscriptions arabes de Tlemcen, revue Africaine, 3^{esme} année, N^{0} 14 Décembre, 1858, P.83.

[6]- ابن أبي زرع، الأنس المطرب...،ص . 21 والأرجح أنه أول مسجد جامع إلى جانب مساجد أخرى صغيرة ينظر: محمد بن معمر: "مركز تلمسان الثقافي من أجادير الإدريسية إلى تاجرارت المرابطية" في حولية: المؤرخ، العدد (3-4)، 1426ه/ 2005م، ص. 102.

وأهمها[1] وقد بني هذا المسجد من الأحجار التي فككت من المعبد الروماني القديم الموجود بالمكان[2]، ويفهم من كلام ابن أبي زرع الفاسي أن إدريس الثاني قام بترميم جامع تلمسان وصنع له منبرا لقدم سابقه [3]، ونظرا لأهميته الوظيفية أقدم يغمراسن بن زيان بناء مئذنته، فأصبح مسجد أغادير مركزا للدراسات الدينية والأدبية أصبح تأسيسه مبدأ الارتكاز للحياة الثقافية ومصدر إشعاع للمدينة[4].

2- **جامع تلمسان الكبير**: يعدّ من أهم الإسهامات الحضارية للمرابطين بتلمسان، شيد في عهد أميرهم يوسف بن تاشفين أثناء بنائه لمدينة تاكرارت 473ه/1080م، وأعاد بناءه ابنه أبو الحسن علي سنة 530ه/1135م، كما تدل عليه الكتابة الأثرية أمام المحراب[5]، أما المئذنة فأسسها يغمراسن بن زيان، لأهمية هذا المسجد أيضا ودوره التعليمي إذ كان أشبه بالمعاهد العليا تدرّس فيه الاختصاصات المختلفة[6].

3- **مسجد سيدي أبي الحسن التنسي** يقع بالقرب من المسجد الأعظم، قام بتأسيسه السلطان الزياني أبو سعيد عثمان 696ه/1296م[7]، لكنه لم يحمل اسم مؤسسه بل أخذ اسم عالم عاش في عهده هو أبو الحسن التنسي، وهو مسجد صغير جدا مقارنة

---

[1]- سعد زغلول عبد الحميد، العمارة والفنون في دولة الإسلام، منشأة المعارف الإسكندرية، 1406ه/1986م، ص. 268.

[2]- لخضر عبدلي، التاريخ السياسي...،ص. 31 إحالة رقم (33).

[3]- الأنيس المطرب...،ص 50، رشيد بورويبة:" جولة عبر مساجد تلمسان" في مجلة: الأصالة، صدرت عن وزارة التعليم الأصلي والشؤون الدينية، العدد 26 ، 1395ه/1975م،ص. 172.

[4]- عبد العزيز لعرج: تلمسان عمرانها وعمارتها الدينية...،ص. 32؛ صالح بن قربة، المئذنة المغربية الأندلسية في العصور الوسطى، الشركة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1406ه/1986م،ص. 85؛ محمد بن معمر، المرجع السابق،ص. 103.

[5]- رشيد بورويبة، المرجع السابق،ص. 172.

[6]- رشيد بورويبة، المرجع نفسه،ص. 174؛ صالح بن قربة، المرجع السابق، ص. 85؛ عبد العزيز بومهرة:" التعليم في المغرب والأندلس في القرن الثامن الهجري" في مجلة: التواصل، العدد11، ديسمبر ،1424ه/2003م، ص127.

[7]- عبد العزيز فيلالي، المرجع السابق، ج1،ص. 146، جورج مارسي، المرجع السابق، ص.51.

بالجامع الكبير، لكنه يحوي ضمن مكوناته عناصر فنية من أجمل ما أبدع في العالم الإسلامي[1].

4- مسجد أولاد الإمام: يقع وسط المدينة، بني من قبل السلطان أبي حمو موسى الأول سنة 710ه/1310م[2] ليكون ملحقا للمدرسة التي شيّدها هذا السلطان باسميهما [3]، باسميهما[3]، و لم يبق من هذا المسجد سوى المئذنة وبعض العناصر المزينة للمحراب، بينما نقلت بعض القطع الأثرية الأخرى إلى المتحف البلدي بتلمسان[4].

5- مسجد سيدي إبراهيم المصمودي : يعود تأسيس هذا المسجد إلى عهد السلطان أبي حمو موسى الثاني إلى جانب قبة وزاوية ومدرسة، لكن اندثرت كل من الزاوية والمدرسة وبقي المسجد والقبة[5].

2-3 المدارس:

يعتبر الفن السلجوقي استمرارا لفن دولة الخلافة العباسية، خاصة بعد أن استقر السلاجقة في بغداد سنة 447ه/1055م[6]، ومن أهم المستحدثات المعمارية التي أتحف بها بها السلاجقة دولة الإسلام المدارس بفضل الوزير نظام الملك (ت 485ه/1092م) الذي ظهرت المدرسة في عهده كمؤسسة حكومية تقدم العلم والرعاية لطلبة العلم ومدرسيه الذين أصبحوا موظفين رسميين[7].

[1]- رشيد بورويبة، المرجع السابق،ص. 175.

[2]- Attallah Dhina ,op, cit, P.216.

[3]- عبد العزيز فيلالي، المرجع السابق،ج1،ص. 147؛ محمود بوعياد، جوانب...،ص. 81.

[4]- عبد العزيز فيلالي، المرجع نفسه،ج1،ص. 147.

[5]- رشيد بورويبة، المرجع السابق، ص.176؛ عبد الحميد حاجيات، أبو حمو موسى...،ص. 181.

[6]- سعد زغلول عبد الحميد، المرجع السابق،ص. 405.

[7]- أبو العباس المقريزي، الخطط المقريزية، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة ، 1378ه/1978م،ج2،ص. 313-314؛ سعد زغلول عبد الحميد، المرجع السابق ، ص.412؛ عبد العزيز لعرج، المباني المرينية...،ص. 302-306.

وانتقل نظام المدارس إلى بلاد المغرب والأندلس بعدما يقرب من القرن من ظهورها في المشرق[1]، وهذا بعد أن كان النشاط التعليمي موزعا بين الكتاب والمسجد [2]فظهرت المدرسة في تونس منذ منتصف القرن السابع الهجري الثالث عشر للميلاد، ومنها إلى فاس بالمغرب الأقصى، ثم بتلمسان و لم تظهر في غرناطة إلى في منتصف القرن الثامن للهجرة الرابع عشر للميلاد[3]، وتعتبر المدرسة مرحلة متقدمة في سلسلة التطورات التي مرت بها حركة التعليم في العصر الإسلامي[4].

وكان العلم محل اهتمام مختلف الأطراف في الدولة الزيانية، كما خضعت مراكز التعليم سواءا الكتاتيب أو المدارس لمراقبة المحتسبين، للتأكد من سلامة المحلات أولا ثم مراعاة قانون الاعتدال في تأديب الصبيان وقواعد الشريعة ومنع أدعياء العلم من التصدي للتعليم الناس[5]، وأشهر مدارس الدولة الزيانية بتلمسان هي:

1- مدرسة ابني الإمام:

وتعرف أيضا بالمدرسة القديمة [6]، وهي أول مدرسة بالمغرب الأوسط أسسها السلطان أبو حمو موسى الأول سنة 710ه/1310م، تكريما للعالمين أبي زيد عبد الرحمن وأبي موسى عيسى ابني الإمام فنسبت إليهما [7]، وصفها المقري وما لحقها من إهمال،

---

[1]- عبد العزيز لعرج، المرجع السابق، ص.306.

[2]- عاشور بوشامة، المرجع السابق،ص. 427.

[3]- المرجع نفسه،ص. 427-440.

[4]- محمد مكيوي، المرجع السابق، ص.92.

[5]- موسى لقبال، الحياة اليومية لمجتمع المدينة الإسلامية من خلال نشأة وتطور نظام الحسبة المذهبية في المغرب العربي، دار هومة، الجزائر، ط2، 1423ه/2002م،ص. 30-82.

[6]- رشيد بورويبة، الحياة الفنية في عهد الزيانيين والمرينيين، تعريب: محمد بلفراد، ضمن كتاب الجزائر في التاريخ،ص. 498؛ Attallah Dhina ,Op, Cit, P.316

[7]- ابن مرزوق، المناقب المرزوقية،ص 202، صالح بن قربة وآخرون، المرجع السابق،ص. 191،

R,Bourouiba ,L'art religieux musulman en Algérie S.N.E.D.Alger.P. 171.

وتراجع دورها كأول مركز تعليمي رسمي في تلمسان منذ بداية القرن الحادي عشر الهجري السابع عشر للميلاد[1].

ولم يبق منها اليوم سوى المسجد والمنارة الذين بنيا بجانبها ويعرف عند أهل تلمسان بمسجد أولاد ليمام[2].

2- المدرسة التاشفينية:

بلغ العمران في عهد أبي تاشفين الأول مبلغا عظيما من الازدهار والرقي، فقد كان من اهتمامات هذا السلطان [3]، وتعدّ المدرسة التي أمر ببنائها ثاني مدرسة في المغرب الأوسط فجاءت تحفة فنية رائعة أودع فيها أجمل نماذج الزخارف التي احتوت عليها قصوره وسميت بعد ذلك باسمه[4].

وقد أسند مهمة التدريس بهذه المدرسة لأبي موسى عمران المشدالي [5]، ولم تزل أفخم مدرسة بالمغرب الأوسط إلى عهد الاحتلال الفرنسي، الذي قامت سلطاته بهدمها ووضع ما بقي من آثارها بين جدران المتاحف[6].

---

[1]- أبو العباس أحمد المقري، رحلة المقري إلى المغرب والمشرق، تحقيق: محمد بن معمر، مكتبة الرشاد، الجزائر، 1425ه/2004م، ص. 140؛ محمد بوشقيف، تطور العلوم ببلاد المغرب الأوسط خلال القرنيين الثامن والتاسع الهجريين (14و15ه)، أطروحة دكتوراه في التاريخ الوسيط، قسم التاريخ والآثار، جامعة تلمسان، 1432ه/ 2011م،ص. 55.

[2]- محمد بوشقيف، المرجع نفسه،ص. 56.

[3]- التنسي، المصدر السابق،ص. 140.

[4]- عبد الحميد حاجيات، أبو حمو موسى الثاني...،ص. 61؛ Lachachi Hadj Omar, Le passe prestigieux de Tlemcen, édition Ibn Khaldoun, Tlemcen, 2002.P.183.

[5]- هو أبو موسى عمران بن موسى المشدالي البجائي التلمساني، قرّبه السلطان الزياني أبو تاشفين ، ومن بين العلوم لتي درّسها الفقه والأصول: (يحي بن خلدون ، المصدر السابق،ج 1، ص.121؛ العقباني المصدر السابق، ص. 56، 140؛ أحمد بابا التنبكتي، نيل الابتهاج بتريز الديباج ، تحقيق: علي عمر، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 1423ه/ 2004م،ج1، ص. 396؛ رابح بونار: "عبقرية المشداليين العلمية في بجاية على عهدها الإسلامي الزاهر" في مجلة: الأصالة، العد 19، ربيع الأول/ أفريل، 1394ه/1974م ، الجزائر ، ص. 307).

[6]- عبد الحميد حاجيات، أبو حمو موسى...، ص. 62؛ صالح بن قربة وآخرون، المرجع السابق،ص. 144؛ جورج مارسي، المرجع السابق، ص.54.

3- المدرسة اليعقوبية:

يذكر يحي بن خلدون أن اليعقوبية من أعمال السلطان أبي حمو موسى الثاني، وذلك نسبة إلى والده أبي يعقوب ويطلق عليها أيضا مدرسة سيدي إبراهيم المصمودي (ت805ه/1402م) الذي توفي ودفن بها وظلت تعرف المدرسة بهذا الاسم حتى اليوم[1].

ورغم أهمية هذا المشروع وما حقّقه من مكاسب تعليمية وتربوية للدولة الزيانية، إلا أن المصادر لم تسعفنا بتفاصيل وافية عنه ومثال ذلك الخلاف الحاصل حول تاريخ بداية بنائها وغياب معطيات الظروف التي أحاطت بتأسيس هذه المدرسة، لكن تاريخ الانتهاء من بنائها وبداية التدريس بها كان سنة 765ه/1363م من قبل أبي عبد الله الشريف العائد من فاس[2]، وجرى هذا الأمر في أجواء إحتفالية على عادة بني زيان في تدشين مثل هذه المشاريع التي كانت تحظى بعناية السلطان نفسه[3].

وإلى جانب هذه المدارس، نجد في بعض المصادر أسماءا لمدارس أخرى مثل مدرسة منشار الجلد ومدرسة سيدي الحسن أبركان لكن دون ذكر تواريخ إنشائها ولا تحديد مواقعها[4].

---

[1]- صالح بن قربة وآخرون، المرجع السابق،ص. 150-152.

[2]- التنسي، المصدر السابق،ص. 180؛ أبو الحسن علي القلصادي، رحلة القلصادي المسماة: تمهيد الطالب ومنتهى الراغب إلى أعلى المنازل والمناقب، تحقيق: محمد أبو الأجفان، الشركة التونسية للتوزيع، 1398ه/1978م،ص. 104، محمود بوعياد، "مخطوطات لم تكتشف زهر البستان في دولة بني زيان" في مجلة: الثقافة، صدرت عن وزارة الإعلام والثقافة، العدد 13 صفر/ مارس، 1393ه/1973م، ص. 61؛ وقد حقق زهر البستان من قبل عبد الحميد حاجيات ونشر مؤخرا.

[3]- صالح بن قربة وآخرون، المرجع السابق،ص. 151.

[4]- ابن مريم، المصدر لسابق،ص. 230-240؛ عاشور بوشامة، المرجع السابق،ص. 434؛ تشير إحدى الدراسات إلى أن منشر الجلد يوجد مسجد سيدي البناء: (محمد بن رمضان شاوش وابن حمدان الغوتي، الأدب العربي الجزائري عبر النصوص، طبع هـــ. داود بريكسي، تلمسان، 1422ه/ 2001م، ص.276).

وكما اهتم السلاطين بالمساجد والكتاتيب والمدارس، فإنهم أولوا عناية خاصة للزاوية فإلى جانب الطابع الديني والاجتماعي الذي ميّزها في البداية[1] لا يمكن إنكار دورها الثقافي والتعليمي واعتبارها من بين مراكز العلم في العهد الزياني ، فكانت موضع عنايتهم بالحبس عليها وتعميرها والنظر في مصالحها، لدورها الهام في الحياة العلمية وحركة التصوف في المغرب الإسلامي، إذ بالإضافة إلى كونها موضعا [2] لاجتماع المتصوفة للعبادة والذكر كان يقصدها الطلبة لتلقي العلم.

3- الرّحلة العلمية:

عرف العرب الرحلات قبل مجيء الإسلام، حيث كانت حياتهم قائمة على الحلّ والترحال، وقد أشار القرآن الكريم إلى رحلتي قريش التجاريتين في الشّتاء والصّيف إلى الشّام واليمن[3]، قال الله تعالى: بسم الله الرحمن الرحيم:" **لإيلاَفِ قُرَيْشٍ إِيلاَفِهِمْ رِحلَةَ الشِّتاَءِ والصَّيْف فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذا البَيْتِ الَّذِي أَطْعَمَهُم مِنْ جُوعٍ وآمَنَهُمْ مِنْ خَوْف"**[4].

و لم يكن الارتحال من مكان إلى آخر لأهداف مادية فحسب وإنما لتحقيق أهداف معنوية أيضا[5]، منها الرحلة في طلب العلم التي كثيرا ما كانت تتبع رحلة الحج، فالحج من أقوى البواعث التي حرّكت الرحالة المغاربة والأندلسيين إلى جانب حرصهم على طلب العلم من منابعه الأصلية مكة المكرمة والمدينة المنورة، ومن المراكز الأخرى في الدولة الإسلامية كبغداد ودمشق ومصر وغيرها[6].

---

[1]- ابن مرزوق، المسند...،ص. 413؛ خالد بلعربي، المرجع السابق، ص.226.

[2]- تشير إحدى الدراسات إلى أن منشر الجلد يوجد مسجد سيدي البناء: (محمد بن رمضان شاوش وابن حمدان الغوتي، الأدب العربي الجزائري عبر النصوص، طبع هـ. داود بريكسي، تلمسان، 1422ه/ 2001م، ص.276).

[3]- نوال عبد الرحمن الشوابكة، أدب الرحلات الأندلسية والمغربية حت نهاية القرن التاسع الهجري، دار المأمون، الأردن، 1429ه/2008م، ص. 35.

[4]- سورة قريش.

[5]- عبد الحكم عبد اللطيف الصعيدي، الرحلة في الإسلام أنواعها وآدابها، مكتبة الدار العربية للكتاب، القاهرة، 1417ه/1996م،ص. 15.

[6]- عواطف محمد يوسف نواب، المرجع السابق،ص. 71.

وقد تعددت تلك المراكز العلمية بفضل انتشار العلماء وأسهمت بدورها في النشاط العلمي على أيدي أولئك العلماء الموجودين بها أو المتنقلين إليها الحرصين على الاستزادة من العلم ونشره[1].

وفي المغرب الإسلامي كانت الرحلة في طلب العلم ولقاء المشيخة من المسائل المحمودة[2]، لما لها من أثر في ترسيخ المعارف في ذهن الطالب ونضوج فكره واكتسابه ملكة علمية ليكون تكوينه سليما وصلبا[3].

وهذا ما عناه ابن خلدون بقوله:" الرّحلة في طلب العلوم ولقاء المشيخة مزيد كمال في التعليم والسبب في ذلك أن البشر يأخذون معارفهم وأخلاقهم وما ينتحلونه به من المذاهب والفضائل تارة علما وتعليما وإلقاءا وتارة محاكاة وتلقينا بالمباشرة، إلاّ أنّ حصول الملكات عن المباشرة والتلقين أشد استحكاما وأقوى رسوخا"[4].

وما يدل على فضل الرحلة في طلب العلم ضرورتها أن قال عنها واحد من أكثر العلماء خبرة وتمرسا بالتعليم أنها:" أصل جمع العلم "[5]، وذهب أحد العلماء المحدثين إلى أن " رحلة العلماء من منعّشات العلم " [6]، ما يعني أن الاستغناء عن الرحلة يؤدي إلى الركود وجمود الفكر، لذا نجد أن ما من عالم إلا وله نصيب من تلك الرحلات التي شدت لطلب العلم، حتى أن كتب التراجم تكتفي أحيانا في التعريف بالعلماء بعبارة " وله رحلة..." أو " رحل في طلب العلم..." لإظهار مترلته العلمية ودرجته الفكرية، فقد كان

---

[1]- عواطف محمد يوسف نواب، المرجع السابق،ص. 46.

[2]- مبخوت بودواية وهوارية بكاي: "العلاقات الثقافية بين الدولتين الزيانية والمرينية خلال القرنين 7-9ه"، في الموقع الإلكتروني: www.Fastat.com تاريخ الاضطلاع: 25 جمادي 11431ه/10 ماي 2010م.

[3]- عاشور بوشامة، المرجع السابق،ص. 467.

[4]- عبد الرحمن بن خلدون، المقدمة،ص. 591.

[5]- والقول للإمام الأبلي ورد في العديد من المصادر على لسان القاضي أبي عبد الله المقري منها: (ابن مريم، المصدر السابق،ص.116).

[6]- الحجوي، المرجع السابق، ج4،ص. 15.

العالم يرحل لرواية حديث أ لقاء عالم أو التعرف على مناهج جديدة أو الحصول على كتب يرغب في الاضطلاع عليها[1].

فكان للرحلة الفضل في قيام شبكة بناءة من الصلات الثقافية شملت كل بلاد المغرب والأندلس والمشرق الإسلامي بين الطلبة والشيوخ، وبين الشيوخ أنفسهم، صلات مباشرة أو بالمراسلة فيتبادلون الكتب والرسائل والإجازات[2].

ومن أولئك العلماء من اتجه إلى تدوين رحلته، فكانت إسهاما واضحا في التراث العلمي والثقافي الإسلامي حيث رصدوا أحوال الناس، ووصفوا بعين بصيرة ما زاروه من بلدان، وما نقلوه عن العلماء الذين احتكوا بهم ومن هنا كانت الخصوصية لدور الرحلات في التفاعل الثقافي والتبادل والتداخل، وتبين مدى تفاعل الرحالة مع غيرهم في المجالس العلمية والمناظرات والمعارضات الأدبية [3]، وكان هذا الأمر من أبرز سمات العصر الذي نتحدث عنه، إذ شاع فيه أدب الرحلة، وهو بحق عصر الرحلات والرحالة فهناك حوالي ستين رحلة مغربية[4].

وبدورهم طلاب العلم من أهل تلمسان شدوا الرحال إلى مختلف الحواضر المغربية والأندلسية والمشرقية تدفعهم الرغبة في الاستزادة من العلم عل كبار شيوخ هذه الحواضر[5]، وفي نفس الوقت " نشر ما عندهم من علم معارف لطلاب هذه المدن ومشايخها، فكان لهم باع طويل في هذا المجال وتركوا آثارا علمية وبصمات فكرية وسمعة طيبة عند أهل المشرق والمغرب والأندلس، فكانت المشيخة العلمية والأدبية التلمسانية قد

---

[1]- نواف عبد العزيز الجحمة، رحالة الغرب الإسلامي وصورة المشرق العربي من القرن السادس إلى القرن الثامن الهجري، دار السويدي، الإمارات العربية المتحدة، 1429ه/2008م،ص. 30.

[2]- عاشور بوشامة، المرجع السابق،ص. 467؛ محمد منير مرسي، المرجع السابق،ص. 36.

[3]- نوال عبد الرحمن شوابكة، المرجع السابق،ص. 470؛ عبد الحي بن عبد الكبير الكتاني، فهرس الفهارس والأثبات ومعجم المعاجم والمشيخات والمسلسلات، دار الغرب الإسلامي بيروت، ط2، 1402ه/ 1982م، ص.67.

[4]- حسب الباحثة فاطمة خليل في بحثها، الرحلة في الأدب المغربي، من جامعة محمد الخامس بالرباط ينظر: (الطاهر توات، المرجع السابق،ص. 59).

[5]- عبد العزيز فيلالي، المرجع لسابق، ج2،ص. 329.

بلغت من النضج والاستواء درجة كبيرة، جعلها تفرض نفسها في الأوساط العلمية شرقا وغربا "[1]، بما فيها مجالس السلاطين بل وأوكلت إليهم أسمى المناصب في الدول التي حلوا بها.

وإلى جانب العوامل السابقة، لا يمكن إغفال دور الموروث الحضاري للدولتين المرابطية والموحدية[2].

كما نشير لأهم ميزة في هذه الفترة، وهي ازدهار التصوف وتوغله في جميع الأوساط وحتى بين العلماء والفقهاء فاصطبغت الحياة الفكرية بالصبغة الصوفية [3]، وبل وطغت تلك المسحة الصوفية على مؤلفات علماء القرنيين الثامن والتاسع الهجري [4]، وظاهرة التصوف بدورها تعود إلى فترة الحكمين المرابطي والموحدي في انطلاقتها الحقيقية وانتشارها عبر المغرب الإسلامي[5].

هذا طبعا إلى جانب عوامل أخرى ليس المقام للتفصيل فيها، لكن خلاصة القول هي أن ما عرفته تلمسان من إشعاع ثقافي كان نتيجة تظافر جهود عدة أطراف وتأثير عدة عوامل داخلية وحتى خارجية.

[1]- عبد العزيز فيلالي، المرجع السابق، ج 2،ص. 327-328؛ نقلا عن حسن الواركلي، المشيخة العلمية في المغرب والأندلس خلال القرن الثامن الهجري، طنجة، 1412ه/1990م،ص. 64-65.

[2]- ابن قنفد القسنطيني، أنس الفقير وعز الحقير، اعتنى بنشره وتصحيحه: محمد الفاسي وأدولف فور، منشورات المركز الجامعي للبحث العلمي، كلية الآداب، جامعة محمد الخامس، الرباط، 1385ه/1965م،ص ب من مقدمة التحقيق؛ مبخوت بودواية وهوارية بكاي، المرجع السابق،ص. 2.

[3]- بابا خويا الحاج المهدي، الإمام أبو عبد الله الشريف التلمساني (ت 771ه) وجهوده الأصولية الفقهية، رسالة لنيل دبلوم الدراسات العليا في الدراسات الإسلامية، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة فاس1414ه/1993م،ص. 33.

[4]- محمد بوشقيف، المرجع السابق، ص. 37.

[5]- عبيد بوداود، المرجع السابق،ص. 55.

ثانيا- مكـــانة العلماء عند سلاطين بني زيان:

سبقت الإشارة إلى عناية الحكّام في الدولة الزيانية بالعلم وتأييد العلماء من خلال تقريبهم، والإغداق عليهم وحسن استقبال الوافدين منهم وحثّهم على التأليف وتعمير المكتبات وبناء المدارس والمساجد وحبس الأوقاف عليها والمشاركة في الاحتفاء بهم وحضور دروسهم والخروج في جنائزهم[1].

ورغم مظاهر الاحترام والتبجيل التي أظهرها السلاطين اتجاه فئة العلماء فإن هذا لا ينفي وجود مرام سعوا لتحقيقها، فهناك من اعتبر هذا الصنيع من قبيل " محاولة الإمارة الزيانية الظهور بمظهر المؤسسة الشرعية من أجل اكتساب رضى عامة الناس "[2]، بالنظر إلى الاحترام الكبير الذي كانوا يتمتعون به من قبلها [3]، بل هناك من اعتبر استقدام السلطان يغمراسن بن زيان للفقيه أبي اسحاق التنسي من باب حرصه على توطيد المذهب المالكي في دولته الفتية كونه المذهب الرسمي لها وأحد مظاهرها[4].

وإذا كان السلطان يغمراسن بن زيان قد اعتمد في تأسيس دولته على القوّة والغلبة ثم الاهتمام بأهل العلم والصلاح وكل ما يدخل في اهتماماتهم من منشآت دينية وتعليمية[5]، وهو ما يظهر جليا في رده على من رفع نسبه إلى إدريس قائلا: " إن كان هذا هذا صحيحا فينفعنا عند الله، وأما الدنيا نلناها بسيوفنا "[6].

[1]- عاشور بوشامة، المرجع السابق،ص. 465؛ محمود بوعياد، جوانب...،ص. 53.

[2]- أحمد عزاوي، المرجع السابق،ج4،ص. 43.

[3]- عبيد بوداود، المرجع السابق،ص. 230.

[4]- ألفرد بل، المرجع السابق،ص. 312.

[5]- صابرة خطيف، فقهاء تلمسان والسلطة الزيانية (633-791ه/1235-1388م) الجهاز الديني والتعليمي، رسالة ماجستير في التاريخ الإسلامي الوسيط، قسم التاريخ، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، قسنطينة، 1425ه/ 2004م،ص. 68-69.

[6]- عبد الرحمن بن خلدون، العبر...،ج7،ص. 97.

لكن هذا الأمر لم يبق على حاله مع من خلفه، إذ لم يعد الاهتمام بالفقهاء من قبيل استمداد السلطة وتقوية النفوذ، وإنما أصبح ذلك الفعل من باب الورع والتديّن[1]، حيث أن التاريخ السياسي للدولة الزيانية أخذ يكتسي صبغة خاصة منذ بداية عهد السلطان أبي حمو موسى الثاني، تتّسم بتحول خطير في نظام تعيين الملك، يتمثل في تلاشي التقاليد المعهودة، وتطور النظام السياسي من محتواه الاستشاري إلى طابع استبدادي ببروز عنصر جديد لإضفاء الشرعية على الحكم وهو عامل الشرف [2]، فحرص أبو حمو موسى الثاني على التقرب من العلويين وهناك من يضع تزويج ابنته من الإمام أبي عبد الله الشريف التلمساني الحسني العلوي[3] في هذا الإطار[4].

من جهة ثانية عمل هذا السلطان على إيجاد وسائط ومواسم لإذاعة مشروعه، فكان الكتاب والشعراء وحتى الفقهاء خير وسيط، وكان المولد النبوي الشريف خير موسم ليوصل مراده إلى أكبر فئة من الناس، ففي عهده كان ابتداء احتفالات بني زيان بالمولد النبوي عام 760ه/1359م[5]، وأصبحت الأسرة الزيانية منذ عهده أيضا في عداد عداد الأســـر الشريفة بالمغرب [6]، فتوالت التآليف المسايـــرة لهذا الطرح تظهر تبـــاعا منها على سبيل المثال:

---

[1]- صابرة خطيف، المرجع السابق،ص. 69.

[2]- عبد الحميد حاجيات وآخرون، كتاب مرجعي...،ص. 242؛ عطاء الله دهينة، الدولة الزيانية في عهد يغمراسن ضمن كتاب الجزائر في التاريخ، ص.360.

[3]- ترجمة مفصلة له في الفصل الثاني.

[4]- مصطفى أبو ضيف، المرجع السابق،ص. 153.

[5]- أبو العباس المقري، أزهار الرياض...، ج1،ص. 243؛ عبد الحميد حاجيات، أبو حمو موسى الزياني...،ص. 220؛ محمد المنوني، ورقات...،ص. 537.

[6]- صابرة خطيف، المرجع السابق،ص. 69.

- أبو عبد الله الشريف التلمساني، روضة الأزهار في التعريف بآل محمد المختار[1].

- محمد بن عبد الله التنسي، تاريخ بني زيان ملوك تلمسان مقتطف من نظم الدر العقيان في بيان شرف بني زيان[2].

والجدير بالذكر أن هذه الظاهرة لم تكن خاصة بالدولة الزيانية بل أصبحت تشمل سائر دول المغرب الإسلامي في أغلب فتراها [3]في سبيل البحث عن الشرعية في مواجهة الجيران[4]، وكانت في نفس الوقت إحدى العوامل الرئيسية لتدهور الأوضاع في المنطقة[5].

طبعا دون إغفال مساهمة أولئك العلماء في الحركة العلمية الإسلامية في هذا العصر في شتى المجالات[6].

[1]- مخطوط بالمكتبة الوطنية الجزائرية تحت رقم 2608، الورقة 27 و/ظ.

[2]- وهو محقق ومنشور، تم الاعتماد عليه في هذا البحث.

[3]- عبد الحميد حاجيات وآخرون، كتاب مرجعي...،ص. 242.

[4]- مصطفى أبو ضيف، المرجع السابق،ص. 171.

[5]- عبد الحميد حاجيات وآخرون، كتاب مرجعي...،ص. 242.

[6]- عبد الحميد حاجيات:" الحياة الفكرية بتلمسان في عهد بني زيان" في مجلة: الأصالة، العدد 26، السنة الرابعة، أوت، 1395ه/1975م،ص. 139.

ثالثا- جهود بني مرين لاستقطاب علماء تلمسان:

1- من خلال المنشآت العمرانية:

عكست العمارة الإسلامية صورا ومظاهر معبّرة عن المنظومة القيمية للمجتمع الإسلامي، ورؤيته الدينية والاجتماعية والاقتصادية التي حددها الإسلام، وشخّص معالمها الرسول الكريم – صلى الله عليه وسلم – وحصر شروطها وأركانها الفقهاء والمفكرون والفلاسفة كل حسب اجتهاده وفهمه لما ورد في القرآن والسنّة من أوامر ونواهي ساعدتهم على رسم صورة لمختلف جوانب الحياة في المجتمع الإسلامي [1]، فجاءت المدن الإسلامية مستجيبة لتطلعات المسلم الدينية والاجتماعية والاقتصادية[2].

ولما كان توطيد أركان الدولة لا يأتي بالقوة العسكرية فحسب، بل لا بد من الاعتماد على ركيزة دينية وفكرية وعلمية يمثلها الفقهاء والطلبة وأهل العلم بصفة عامة [3]، وبالتالي فإن منشآت عمرانية بتلك الضخامة والأبّهة كالتي خلّدها بنو مرين بتلمسان تدخل في هذا الإطار، فحتى لو سلمنا بأنها أنشئت من قبيل الاهتمام بالتبرك بالصلحاء [4]، أو تخليد ذكرى عالم معين[5]، أو حتى اعتبارها من مقتضيات النمو الثقافي الذي شمل أقطار المغرب الإسلامي خلال تلك الفترة [6]، فإن الأمر لم يخل من مطامح سياسية بالتأثير على مختلف الشرائح الاجتماعية والظهـــور أمامهم بمظهر رعاة الديـــن والعلم و خدمة مصالح

---

[1]- عبد العزيز لعرج، "العمران الإسلامي وعمارته السكنية، قيم دينية ودلالات اجتماعية"، في حولية: المؤرخ، تصدر عن اتحاد المؤرخين الجزائريين، العدد (3-4)، 1426ه/2005م، الجزائر، ص. 7.

[2]- عبد العزيز لعرج، المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

[3]- صالح بن قربة وآخرون، المرجع السابق،ص. 179.

[4]- إبراهيم حركات، الصلات الفكرية بين تلمسان والمغرب، في مجلة: الأصالة، العدد 26، 1395ه/ 1975م، الجزائر، ص. 186.

[5]- صالح بن قربة وآخرون، المرجع السابق،ص. 170.

[6]- عبد الحميد حاجيات، تلمسان مركز الإشعاع الثقافي...،ص. 40.

الجماعة[1]، ونزع نظرة الغزاة الطامعين من نفوسهم [2]، بل لما اتخذ سلاطين بني مرين العلم من مظاهر دولتهم كان في تشييد تلك العمائر وتنشيط حركة البناء باعتبارها مظهرا لحياتهم الراقية[3] من جهة، وبحثا عن الشرعية التي كانت تنقصهم من جهة ثانية [4]؛ لكن أعظم أولئك السلاطين في هذا الجانب هو أبو الحسن المريني، وأهم ما ساعده في ذلك الرخاء الاقتصادي[5]، وكان بناءه لمثل تلك المنشآت دلالة على إلحاق تلمسان بممتلكاته في المغرب الأقصى، وتعبيرا منه على أهميتها وتقديره لها، ومحاولة التأثير على سكّانها استرضاءا لهم للانضمام إليه والقبول بمشاريعه[6].

وتتمثل أهم المنشآت العمرانية المرينية في تلمسان فيما يلي:

1-1 المساجد:

قام المسجد بمختلف أشكاله وأحجامه بدور كبير كأداة تعليم وتربية ونشر للثقافة، وهي أداة لا تتجه لطبقة خاصة من المجتمع بل إنها مؤسسة شعبية تتصل بعامة الناس على الدوام، وتبلغ التعاليم نفسها في كل مكان مما يؤدي إلى بروز إطار فكري واحد [7]، وقد وجد سلاطين بني مرين في بناء المساجد بتلمسان رافدا للتعامل مع أشمل فئة من سكان المدينة وتلك المساجد هي:

[1]- عبد العزيز لعرج، المباني المرينية...،ص. 236؛ روبير برونشفيك ، المرجع السابق، ج1، ص.198.

[2]- العربي لقريز، مدارس السلطان أبي الحسن علي مدرسة سيدي أبو مدين نموذجا دراسة أثرية وفنية، رسالة ماجستير كلية الآداب والعلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية، قسم الثقافة الشعبية، جامعة تلمسان،1422ه/2001م،ص. 31.

[3]- عيسى الحريري، المرجع السابق،ص. 319.

[4]- Atallah Dhina, op.cit,P.313.

[5]- عبد العزيز لعرج، المباني المرينية...،ص. 315.

[6]- عبد العزيز لعرج، مدينة المنصورة المرينية بتلمسان، زهراء الشرق،2002م، القاهرة، 1427ه/ 2006م، ص. 8.

[7]- محمد رزوق، التواصل الثقافي بين أقطار المغرب العربي تأصيل تاريخي: ضمن دراسات في تاريخ المغرب، إفريقيا الشرق 1411ه/1991م، ص. 72.

1- مسجد المنصورة: بني هذا المسجد في عهد السلطان يوسف بن يعقوب المريني في أثناء حصاره لمدينة تلمسان سنة 698ه/1298م، فبعد أن اختط بمكان فسطاط معسكره قصرا لسكناه، اتخذ به مسجدا للصلاة ثم أمر الناس بالبناء وأدار سياجا من الأسوار عليها، فكان المسجد الذي شيده سنة 702ه/1302م، من أعظم المساجد لما خصه به من اهتمام خاصة مئذنته[1] التي لا تزال ماثلة للعيان؛ بل واعتبر بناء مدينة المنصورة انتصارا حضاريا حقّقه أبو يعقوب إلى جانب انتصاراته العسكري[2].

2- مسجد سيدي أبي مدين : شيد بأمر من السلطان أبي الحسن علي سنة 739ه/1339م، بقرية العباد بجانب صريح الولي الصالح أبي مدين شعيب، وأوكل الإشراف على بنائه لعم صاحب المسند ابن مرزوق الخطيب (أبو عبد الله محمد بن محمد بن أبي بكر بن مرزوق)[3].

3- مسجد سيدي الحلوي: شيد هو الآخر تخليدا لذكرى العالم الصوفي الشهير أبي عبد الله الشوذي الإشبيلي المعروف بالحلوي (ت 737ه/1337م) بأمر من السلطان المريني أبي عنان فارس، وهو يشبه إلى حد كبير مسجد سيدي بومدين[4].

1-2 المدارس:

لم يقتصر اهتمام بني مرين على بناء المدارس في عاصمتهم فاس فقط، وإنما شمل سائر البلاد التي حكموها بما فيها بلاد المغرب الأوسط اشتهر منها بتلمسان:

1- مدرسة سيدي أبي مدين : أنشأها السلطان أبو الحسن علي سنة 747ه/1347م، في قرية العباد و غلب عليها اسم العباد، أطلق عليها أيضا اسم المدرسة

---

[1]- عبد الرحمن بن خلدون، المصدر نفسه ج7،ص. 293؛ عيسى الحريري، المرجع السابق،ص. 320.
[2]- عبد العزيز لعرج، مدينة المنصورة...، ص.35.
[3]- ابن مرزوق، المسند...،ص. 287-288؛ عبد العزيز فيلالي، المرجع السابق، ج1،ص. 147.
[4]- محمد عيسى الحريري، المرجع السابق،ص. 322؛ R.Bourouiba op, cit, p. 169-170

الخلدونية في فترات لاحقة ولعل هذا راجع إلى كون عبد الرحمن بن خلدون قد تعلم بها[1].

2- مدرسة سيدي الحلوي: تعتبر ثاني مدرسة مرينية بتلمسان، بناها السلطان أبو عنان فارس سنة 754ه/1353م، بجوار ضريح المتصوف أبي عبد الله الشوذي المعروف بسيدي الحلوي سيرا على نهج والده ومشاريعه العمرانية دعما للحياة الفكرية وإحياءا لتقاليد المذهب المالكي وفروعه[2].

وبهذا يكون بنو مرين قد خلّدوا محبّتهم للعلم وأهله بهذه الآثار، وفي هذا قيل:

همم الملوك إذا أرادوا ذكرها من بعدهم فبألسن البنيان

إنّ البناء غدا تعاظم شأنه أضحى يدل على عظيم الشان[3]

2- الإلحاق بالمجالس العلمية السلطانية:

اختلفت مجالس الخلفاء والملوك شكلا وأبهة باختلاف الدول، وفي الدولة الواحدة باختلاف أطوارها وفي كل طور باختلاف المراد منها [4]، فالرسول – صلى الله عليه وسلم– اتخذ من مسجده موضعا للصلاة ومكانا للاجتماعات والاستقبال [5]، كما أن

[1]- ابن مرزوق، المسند...،ص. 406؛ صالح بن قربة وآخرون، المرجع السابق،ص. 170؛ العربي لقريز، المرجع السابق، ص. 56- 59.

[2]- حسن الوزان، المصدر السابق،ج 2،ص. 19؛ صالح بن قربة وآخرون، المرجع السابق،ص. 177-169؛ R.Bourouiba op, cit, p. 249.

[3]- أبو العباس أحمد الناصري ، الاستقصاء لأخبار دول المغرب الأقصى، تحقيق: محمد عثمان، دار الكتب العلمية، بيروت، 1428ه/ 2007م، ج4، ص.15.

[4]- جرجي زيدان، تاريخ التمدن الإسلامي، دار مكتبة الحياة، بيروت، ب.ت،ج5،ص. 666.

[5]- عبد العزيز حميد: "مجالس وقاعات الاستقبال في القصور الإسلامية حتى نهاية القرن الثاني هجري"، في مجلة: المورد، العدد 32، السنة الرابعة، 1426ه/2005م،ص. 5.

المجالس العلمية في المساجد كانت أول ما نشأت محدودة المواضيع لا تخرج في الغالب عن تلاوة القرآن وتفسيره والأحاديث ورواياتها[1].

واستمر الأمر على هذه الشاكلة أيام الخلافة الراشدة، لكن باتخاذ القصور مع بني أمية وبني العباس من بعدهم اختلف الوضع كثيرا عما كان عليه بفعل مؤثرات خارجية عدية[2]، وأصبحت تلك المجالس من مظاهر أبهة وفخامة البلاط الذي تعقد فيه [3]، فقد حفلت مجالس الخلفاء والوزراء بأهل العلم والأدب يقربونهم ويحسنون إليهم، ومثال عن ذبك ما حكي عن الوزير السلجوقي أبي علي الحسن (نظام الملك) من أن مجلسه عامر بالعلماء والفقهاء بحيث يقضي معهم غالب نهاره حتى قيل له: إن هؤلاء شغلوك عن كثير من المصالح فقال:" هؤلاء جمال الدنيا والآخرة، ولو أجلستهم على رأسي لما استكثرت ذلك "[4].

ثم اتسعت تلك المجالس لتشمل الدول التي نشأت على تراب المغرب، أبرزها مجامع خلفاء الموحدين والتي كانوا يعقدونها مع أشياخ علمائهم، إلى جانب كبار العلماء الواردين عليهم من مختلف الجهات وكانت حافلة بالمذاكرة والمناظرة في مختلف أنواع العلوم إذ كان يحضرها أدباء وأطباء وفلاسفة ومغاربة أو واردون على المغرب[5].

1- نزهة بن الخياط: "مكتبة جامع القرويين عبر التاريخ" في: المجلة المغربية للتوثيق والمعلومات ، العدد الثالث، مارس، 1405ه/1985م، تونس، ص.9.

2- عبد العزيز حميد، المرجع السابق، ص. 6-10؛ جرجي زيدان، المرجع السابق، ج5،ص. 667.

3- جرجي زيدان، المرجع نفسه، ج5،ص. 666.

4- أبو العباس أحمد المقري، رحلة المقري...،ص. 162.

5- ابن عبد الملك مراكش، المعجب في تلخيص أخبار المغرب، تحقيق: صلاح الدين الهواري، المكتبة العصرية بيروت، 1426ه/2006م،ص. 246؛ محمد المنوني، حضارة الموحدين، دار توبقال، المغرب، 1410ه/1989م،ص. 32.

وكانت تفتح بإلقاء مسألة من العلم يلقيها الخليفة بنفسه أو يلقيها بإذنه بعض الجلة من الحاضرين، وكان يجب أن يراعي الحاضرون في هذه المجامع ما يجب لمجالس الخلفاء من التزام الجد والمحافظة على الآداب الملوكية[1]

وهو ما كان أيضا في قصور الدول التي ورثت الدولة الموحدية (الحفصية والزيانية والمرينية)، فقد حرص سلاطينها على استقطاب واختيار كبار الكتبة والأدباء والفقهاء وإدراجهم في المجالس العلمية وبعض الدواوين [2]، الأمر الذي خلق جوّا من المنافسة، وفي هذا الإطار احتضن البلاط المريني العديد من الشخصيات الفكرية التلمسانية والتي كان لبعضها قوة تأثير لما لها من ثقافة موسوعية أو تخصّص في شعب معيّنة من المعرفة[3].

وسنحاول في الفصل الموالي التعرّف على الظروف المحيطة بالتحاق بعض علماء تلمسان بالبلاط المريني وظروف انعقاد تلك المجالس عموما أمام غياب تفاصيل وافية عن الحياة داخل القصور الملكية.

[1]- محمد المنوني، المرجع السابق، ص.32.

[2]- عيسى بن الذيب وآخرون، المرجع السابق،ص. 147.

[3]- إبراهيم حركات، الصلات الفكرية...،ص. 186.

الفصل الثاني

علماء تلمسان في حضرة سلاطين بني مرين

- تمهيد
- أولا- ظروف التحاق علماء تلمسان بالبلاط المريني
- ثانيا- البلاط المريني وعلماء تلمسان : مرحلة الاحتكاك
- ثالثا- علماء تلمسان في المجالس العلمية السلطانية لبني مرين

تمهيد:

عرف القرن الثامن الهجري الرابع عشر الميلادي استمرار التواصل العلمي والثقافي بين المغربين الأوسط والأقصى ، وهو ما ميّز القرن الذي يليه أيضا ويتّضح ذلك من خلال حركة العلماء بين القطرين،وفي هذا الإطار نسجل اتجاه عدد من علماء تلمسان نحو المغرب الأقصى برسم الخدمة في البلاط المريني سواء كان ذلك عن طيب خاطر أو مجبرين عليه لظروف معينة.

ولعلمهم وفضلهم حظي عدد منهم بالتقدير والحظوة،فالحقوا بالمجالس العلمية الرسمية لسلاطين بني مرين،والجدير بالذكر أن هذا الإلحاق لم يسر على نفس الوتيرة من حيث العدد أو المكانة العلمية التي خصّوا بها عند أولئك السلاطين ما كان له اثر واضح غلى العلاقات الثقافية والعلمية بين البلدين[1].

وفي هذا الفصل سنحاول التعرف على ظروف انعقاد تلك المجالس العلمية في حضرة سلاطين بني مرين والتفريق بين تلك التي كانت منظمة وما حدث منها عرضاً هذه الأخيرة التي كان لعلماء تلمسان الدور الفعال والأثر الواضح في تنشيطها.

[1]– عمار هلال،العلماء الجزائريين في البلدان العربية الإسلامية،فيما بين القرنين التاسع والعشرين ميلادي (3–41ه)،ديوان المطبوعات الجامعية،الجزائر،1416ه/1995م،ص.158.

أولا- ظروف التحاق علماء تلمسان بالبلاط المريني:

لم يكن بنو مرين أصحاب فكرة جديدة من حيث الفقه أو العقائد [1]،أو أصحاب دعوة إصلاحية[2]،فبحثوا لأنفسهم عن أسس لدعم شرعية دولتهم- شأنهم في ذلك شأن بني عمومتهم بني عبد الواد[3]،- ومن أهم المظاهر التي اتخذتها تلك المساعي ما يلي:

- ادعاء الأصل العربي وهو ما نجده عند معظم المصادر التي أرخت للدولة المرينية[4]،لكن من الواضح أن هذا الأمر كان من قبيل البحث عن الشرعية،وتبرير صحة الحكم[5].

و مع هذا نجد في محاولات أولئك الكتاب ما يشير إلى الشك في صحة نسب بني مرين إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم-[6].

- **الاحتفال بالمولد النبوي الشريف** : وكان أول من ندب الاحتفال به بالمغرب قاضي سبته أبو العباس العزفي(ت 633ه/1236م) ثم احتفل به أول ملوك بني مرين يعقوب بن عبد الحق فابنه يوسف الذي عمّم الاحتفال به في سائر الجهات منذ 691ه/1292م ليكتمل الاحتفال بهذه المناسبة في عهد السلطان أبي الحسن وتبنى الدولة القيام بنفقاتها[7].

---

[1]-كانت المذاهب الغالبة على المغرب في الفترة المرينية:المذهب الأشعري في المعتقدات والمذهب المالكي في الفقهيات والصوفية السنية حسب طريقتي أبي مدين شعيب وابي الحسن الشاذلي ينظر:(محمد ألمنوني،ورقات....،ص.377).

[2]- محمد بن شقرون ،مظاهر الثقافة المغربية،دار الثقافة ،الدار البيضاء1406ه/1985م،ص.51.

[3]- أحمد عزاوي،المرجع السابق،ج1،ص.52، ج4،ص.43.

[4]- ابن أبي زرع، الذخيرة السنية...، ص. 14؛ ابن الأحمر،المصدر السابق،ص.8-9؛ابن مرزوق، المسند...،ص.110؛ وموقف ابن خلدون من هذه القضية واضح في تجدر اصل بني مرين في البربر (العبر...،ج7،ص.221).

[5]- إبراهيم حركات،المغرب عبر التاريخ...،ص.10.

[6]- محمود بوعياد، مقدمة تحقيق تاريخ بني زيان...،ص.64-66.

[7]- ابن مرزوق، المناقب المرزوقية...،ص. 294-295؛ ولنفس المؤلف،المسند...، ص152-154؛ أبو عبد الله محمد الأنصاري ، فهرست الرصاع ، تحقيق: محمحد العنابي، المكتبة العتيقة، تونس، ب. ت، ص. 24؛ محمد المنوني، ورقات... ، ص.517- 536.

- **الجهاد في الأندلس** : الذي كان مقررا ضمن برنامجهم بعد تأسيس دولتهم،وقد افرد له منصب خاص به ضمن الإدارة العامة للدولة [1]،سعيا من حكامهم لتوطيد سلطانهم[2].هذا بغض النظر عمن يؤكد أن تدخل بني مرين في الأندلس كان للدفاع عن الإسلام وحمية عن الدين ولا مكان للكسب السياسي[3].

- **الاهتمام بالحركة الصوفية** : كونها كانت تمثل التيار الثقافي المعارض للسلطة[4]،ومحاولة التقرب من أقطاب الصوفية،منها محاولة السلطان أبي عنان الاتصال بالصوفي الكبير ابن عاشر[5]،لكنه صد عنه في كل مرة.

وإن وجد من عدّ هذا الإلحاح رعاية للحركة الصوفية [6]،فهناك من يؤكد قوة وهيبة الدولة المرينية ما يجعلها في منأى عن الشعور بأي خطر من امتداد نفوذ الصوفية،بل انصرفت لاستكمال بناء صرح حضارتها مع ما يقتضيه ذلك من حرية للفكر [7]،لدرجة سمحت معها في بعض الأحيان بتدريس أراء الموحدين في مدارسهم[8].

- **تنظيم ركاب الحجيج**:حيث"استجد أهل المغرب عزما في قضاء فرضهم ورغبوا من السلطان إذنه لركب الحاج في السفر إلى مكّة...[9]."،فعادت الركاب الحجية بعد طول طول انقطاع بسبب الفتن التي رافقت انهيار الدولة الموحدية،وأول ركب نظمه السلطان

---

[1]- محمد المنوني،ورقات....،ص.19،86.

[2]- مارمول كربخال،المصدر السابق،ج1،ص405.

[3]- محمد بن شقرون ،مظاهر الثقافة المغربية....،ص.52.

[4]- عبد العزيز بومهرة،المرجع السابق،ص.131.

[5]- أبو العباس احمد بن عمر بن محمد بن عاشر الأندلسي نزيل سلا ودفينها 764ه/1363م، أحدث في المغرب مدرسة صوفية ذات طابع خاص ينظر: (ابن قنفد القسطنطيني، أنس الفقير...،ص.7؛محمد المنوني،ورقات...،ص.415),

[6]- محمد بن شقرون،مظاهر الثقافة المغربية....،ص.54.

[7]- عيسى الحريري،المرجع السابق،ص.355.

[8]- المرجع نفسه،ص.337؛ ألفرد بل،المرجع السابق،ص.326.

[9]- عبد الرحمن بن خلدون،العبر...، ج7،ص.298.

يوسف بن يعقوب تنظيمها استمر نموذجا للركاب بعد [1]،وكان يدخل في تنظيم الركب بعث الأموال برسم توزيعها على سكان الحرمين الشريفين مكة المكرمة والمدينة المنورة،ومصاحف للحرم المكي بخط أمهر الخطاطين وفي أبهى الأشكال وأحسنها [2]،بل وتم توجيه الكسوة للكعبة المشرفة[3].

- **الاهتمام برجال العلم والصلحاء والشرفاء**[4]: فقد كان بنو مرين يتصيدون كل كل من أحسّوا فيه نبوغا وتفرسوا فيه نباهة وذكاءا [5]،وكما كان الأمر عند سلاطين بني زيان الذين اتخذوا لأنفسهم جلساء من نخبة القوم،فكانوا بمثابة جماعة الشورى في مجلس السلطان،إذ يلتجأ إليهم عند تأزم الحال فيطرح عليهم ما تعسر عليه حله طالبا النصح والمشورة[6]،إلى جانب انتقاء موظفيه من بينهم من وزراء وحجاب وكتاب وقضاة [7]،والذين وقضاة[7]،والذين كانوا من عائلات معينة ذات قرابة بعيدة ولا تنحدر من سلالة الملك رأسا رأسا خوفا من طموحهم،أو من المعتقين وكتابا من أدباء الأندلس في اغلب الأحيان،أو ينحدرون من عائلات خدمت الموحدين سابقا أو ينتمون إلى بلاطات المسلمين حيث حصلت لهم خبرة في تصريف شؤون الدولة[8].

ولعل تلك الخبرة كانت من أهم دوافع بني مرين لاستقبال علماء من تلمسان في بلاطاتهم والاستفادة منهم ،كما يظهر جليا الترحاب بكل من أراد الخدمة في البلاط المريني من خلال عدم اشتراط الجنسية التي كانت مرتكزة على أساس التابعية للإسلام و لم

---

[1]- محمد المنوني ،ورقات...،ص.172.

[2]- ابن مرزوق،المسند..،ص.475؛ عبد الرحمن ابن خلدون،العبر...،ج7،ص.299.

[3]- حسب رسالة يذكر محمد المنوني انها انفردت بذكر هذا الأمر ينظر:(ورقات...،ص.173 احالة رقم (415)).

[4]- أحمد عزاوي، المرجع السابق،ج1،ص.52.

[5]- محمد بن شقرون ، مظاهر الثقافة المغربية....،ص.75.

[6]-ب وزياني الدراجي، المرجع السابق،ص.184.

[7]- المرجع نفسه، ص.184؛ ألفرد بل،المرجع السابق،ص.311.

[8]- عطاء الله دهنية،الحياة السياسية والادارية ضمن كتاب: الجزائر في التاريخ،ص.467.

تكن الجنسية الإقليمية قد حددت بعد، وهو ما يفسر وجود موظفين من مختلف أقطار المغرب العربي والأندلس والمشرق الإسلامي،بل ومن اليهود والنصارى[1].

هذا إلى جانب إيجاد بني مرين قاعدة فكرية وثقافية في المغرب الأقصى لدعم انطلاق الحياة الفكرية به وبالمغرب الأوسط أيضا في فترات حكمهم له،وتتمثل تلك القاعدة في العدد الضخم من المدارس المتخصصة التي انتشرت هنا وهناك [2]، والحرص على الوقف والتحبيس من قبل وجهاء الدولة من ملوك ووزراء وكذا العلماء لبعض الكتب المختارة بل وفي بعض الأحيان مكتباهم الخاصة التي غالبا ما كانوا يجمعونها من بين الكتب النادرة من جميع بقاع العالم على الطلبة والمدرسين بل وعلى عامة الناس في أحيان كثيرة رغبة منهم في نشر العلم وخدمة محبيه [3]،من ذلك اشتراط السلطان ابي يعقوب المرين في عقد الصلح مع النصارى بعث كتب العلم التي بأيديهم منذ استيلائهم على مدن الإسلام فاستكثر من أصنافها في ثلاثة عشر حملا و قام السلطان بوقفهما على المدرسة التي أسسها بفاس[4].

و أبدعت المصادر في الحديث عن خزانة الكتب التي أنشأها السلطان أبو عنان المريني إيثارا منه للعلم و توسيعا على طلبته [5] ، و لم يقتصر الأمر على جمع الكتب،وإنما نسخها بخط يد السلطان نفسه، كما كان الشأن لأبي الحسن وابنه أبي عنان، خاصة

---

[1]- محمد المنوني ،ورقات...،ص.154-155؛ محمد بن شقرون ،مظاهر الثقافة المغربية....،ص.52.

[2]- محمد عيسى الحريري،المرجع السابق،ص.337.

[3]- أبو العباس أحمد الناصري، المصدر السابق، ج4، ص.14؛ نزهة بن الخياط،المرجع السابق،ص.15.

[4]- عبد الرحمن بن خلدون،العبر...، ج7،ص.277.

[5]- علي الجزنائي، المصدر السابق، ص. 76؛ أحمد بن القاضي المكناسي،جذوة الاقتباس...، ج 2،ص.73؛ محمد المنوني، تاريخ الوراقة المغربية صناعة المخطوط المغربي من العصر الوسيط إلى الفترة المعاصرة، جامعة محمد الخامس، الرباط، 1412ه/ 1991م، ص. 62.

المصحف الشريف. بل إن أعظم دور الكتب كانت بقصر السلطان [1]، فوجد في فاس من غرائب كتب الفقه المالكي ما لم يوجد في غيرها.[2]

في هذا الجوّ المشحون بالأفكار و الإهتمام بكل ما يخدم العلم و أهله، بحث سلاطين "بني مرين" عن كلّ ما قد يزيده رقيّا و إزدهارا ، فوجدوا ضالتهم في فئة العلماء بما فيهم علماء تلمسان بفضل نشاطهم في تفعيل الحركة الثقافية أينما حلّوا.

[1]- محمد عيسى الحريري، المرجع السابق،ص.349.

[2]- المرجع نفسه، ص. 331

ثانيا – البلاط المريني و علماء تلمسان: بداية الإحتكاك

غلب على البلاط المريني في مطلع قيام الدولة طابع البداوة،و لم يستقر سلاطين بني مرين كثيرا في أول دولتهم،باعتبار أنهم كانوا في مرحلة توطيدا أركانها [1]،حيث لم يقم السلطان إقامة دائمة بفاس بل كان يقود حملات متعدّدة هجومية أو دفاعية ضد عدة مناطق بما فيها الأندلس[2]،وحتى في أيام السلم كان يتجول فيها اتباثا بوجود الدولة وفرض الضرائب وتثبيت السلطان[3].

لكن المصادر المتاحة لا تعطي صورة واضحة عن البلاط المريني، بما فيه المجالس العلمية للسلاطين، ولعل للأسباب التي سبق شرحها الدور الأكبر في ذلك ،لتتّضح معالم تلك الصورة في القرن الثامن الهجري الرابع عشر للميلاد، سيما عهدي السلطانين أبي الحسن علي وأبي عنان فارس وما كان في تلك المجالس من علم وأدب وفضل،ليتراجع الوضع إلى ما كان عليه في سابق عهده، فبعد ابي عنان تدخل الدولة دور الضعف في جميع المجالات[4]،فقد بويع أبو بكر السعيد (759-760ه/1357-1358م). صبيا صغيرا، وكان أبو عمر تاشفين (762-763ه/1360-1361م) ضعيف العقل أما أبو زيان محمد (763-767ه/1361-1365م) فلم يكن له نفوذ يذكر، وبويع أبو زيان التاني (774-776ه/1372-1374م)طفلا لم يحتلم بعد، وادى أبو سعيد عثمان (800-823ه/1397-1420م) طاعته لبني حفص،وتميزت فترات حكم أولئك السلاطين بالضعف حيناً والتّبعية أحيانا أخرى،نستثني منها فترتي حكم كل من أبي سالم (760-762ه/1359-1391م) وأبي فارس عبد العزيز (768-774ه/1366-1372م)[5].

---

[1]- المازوني، المصدر السابق، ج1، ص. 213.

[2]- روجيه لوتورنو،المرجع السابق،ص.26.

[3]- المرجع نفسه،ص.115.

[4]- إبراهيم حركات،المغرب عبر التاريخ...،ص.57.

[5]- ابن الأحمر،المصدر السابق،ص. 29-38؛ مؤلف مجهول، الحلل الموشية...، ص. 179- 181؛ إبراهيم حركات، المغرب عبر التاريخ...،ص.79.

هذا عن الحكام والسلاطين فأنّى لنا الحديث عن مجالس سلطانية،مع كل ما تطلبه من علم ونباهة وسلطة ونفاذ ورأي.

فصفوة القول، أن انعقاد المجالس العلمية بحضرة السلطان تخضع تخضع لشرطين أساسيين أتبثهما الواقع التاريخي:

1 - الاستقرار السياسي للدولة وضمان موارد مالية قارة بماله من تأثير مباشر في استقرار السلطان في مقر حكمه.

2 - شخصية السلطان نفسه،فزيادة على حبه لأهل العلم وتقربه منهم والإحسان إليهم والمبادرة لاستدعائهم لمجالسه،يجب أن يكون على جانب من العلم والثقافة فأعظم المجالس العلمية عقدت في حضرة سلاطين عدوا من العلماء ومثال ذلك السلطان أبو عنان فارس الذي تشهد له المصادر بذلك منها ما قاله صاحب روضة النسرين في دولة بني مرين من انه كان"فقيها يناظر العلماء،فيصيب ويخطئهم ومعرفته بالفقه تامة،وكان عارفا بالمنطق وأصول الدين وله حظ صالح من العربية والحساب،وكان حافظا للقران...[1].

وفي معرض حديثه عن مجالس العلم التي كان يعقدها هذا السلطان،وصفه ابن بطوطة "..وفي كل علم منها له القدح المعلى،يجلو مشكلاته بنور فهمه،ويلقى نكته الرائقة من حفظه..."[2].

وبغض الطّرف عن المبالغة في هذا الكلام ،نفهم أن السلطان أبا عنان كان على جانب من العلم ما أهّله لعقد مجالس بحضرته والمشاركة فيها ،بل يذهب أحدهم إلى القول

[1]- ابن الأحمر، المصدر السابق، ص.27-28.

[2]- رحلة ابن بطوطة المسماة تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار،دار الكتاب اللبناني،بيروت،دار الكتاب المصري،القاهرة، ب،ت.ص433؛ ووصفه لسان الدين بن الخطيب في الإحاطة بـــ:"العالم المتبحّر"مج1،ص.304؛ وأما المقري فيصفه بقوله "كان محبا للعلم وأهله، يحصّل المسائل العلمية ويطالع الكتب ليله أجمع":(أزهار الرياض ....، ج 5، ص.87).

أنّ أبا عنان زيادة على اهتمامه بالعلم ،ومناقشة العلماء في مجلسه كان يدرس فيه أيضا وله حججه في ذلك[1] .

وكثيرا ما كانت تفتتح تلك المجالس بقضية يثيرها السلطان وله أن يشارك في مناقشات الفقهاء والعلماء [2]. وذلك رغم أنها كانت تحدث عرضا في القصر السلطاني [3] ، ما يدل على علم واستعداد السلطان الذي تعقد في حضرته،وتدار فيها مناظرات ومحاضرات تنم عن المستوى العلمي الراقي للعلماء المشاركين فيها إذ تكون عادة بين فقهاء وعلماء وصلوا إلى درجة معينة من العلم والرواية[4] . فأضحت تلك المجالس أيا كان الغرض من عقدها مدعاة للافتخار[5].

فلا غرو إذن أن يبذل سلاطين بني مرين جهدهم لضم اكبر عدد من الفقهاء والعلماء من مختلف الأقطار،بما فيها علماء تلمسان وهكذا أصبحت ظاهرة التنافس على رضى العلماء الذين هم جمال الدولة ورموز عزها [6] من أهم ما ميّز الحياة التفافية للمغرب الإسلامي في أواخر العصر الوسيط.

وإلى جانب هذه المجالس التي كانت مفتوحة للنقاش أمام من حضر من العلماء ودون سابق تحضير لموضوعها ،نجد مجالس علمية كانت تعقد بحضرة السلاطين بصفة منظمة لقراءة كتب معينة ، فقد كان السلطان أبو الحسن يتخير من علماء مجلسه من يقرأ

---

[1]- عبد الله العمراني:"البلاط المغربي في المجالس الروحي والزمني" في مجلة: دعوة الحق، صدرت عن وزارة عموم الأوقاف والشؤون الإسلامية بالمملكة المغربية،العدد3محرم،مارس،1391ه/1971م،ص.68.

[2]- إبراهيم حركات،المغرب عبر التاريخ....،ص.87.

[3]- الفرد بل،المرجع السابق،ص،358.

[4]- خالد الصمدي :"مجالس الحديث بقرطبة خلال القرن الخامس الهجري"في مجلة :الحضارة الإسلامية،صدرت عن المعهد الوطني للتعليم العالي للحضارة الإسلامية،العدد الأول عدد خاص بالملتقى الدولي حول المراكز الثقافية في المغرب الإسلامي، جمادى الأولى، نوفمبر، 1414ه/ 1993م، ص.147.

[5]- المرجع نفسه،ص.149.

[6]- بلخير عثمان،المرجع السابق،ص.63.

بين يديه أمّهات الكتب والمؤلفات العربية ،وبصفة خاصة كتب الفقه والحديث [1] . فكان أبو مرزوق الخطيب يقرا بين يديه صحيح البخاري ومسلم [2]. وكتاب الشفاء وتهذيب ابن هشام سيرة ابن إسحاق و جملة من كتب الوعظ والحديث و التاريخ إلى جانب القصائد[3].

وتتحدث المصادر عن العمل اليومي للسلطان أبي الحسن فيحتلّ الجلوس لأهل العلم والفضل قسما كبيرا منه قد يستمر الليل بأكمله، فبعد عودته إلى قصره «....تحضر العلماء والفضلاء و الأعيان إلى مسامرته [4] ...».

كما أن السلطان أبا عنان كان مثل والده يجلب كبار العلماء إلى قاعدة ملكه ويجبرهم على حضور مجلسه العلمي فيعطون الدّروس ويتلقونها [5]، وبدوره أشادت المصادر المصادر بالمجالس العلمية التي كان يعقدها في قصره: «... و أمّا اشتغاله بالعلم فهاهو أيده الله تعالى يعقد مجالس العلم في كلّ يوم بعد صلاة الصبح و يحضر لذلك أعلام الفقهاء و نجباء الطلبة بمسجد قصره الكريم فيقرأ بين يديه تفسير القرآن العظيم و حديث المصطفى صلى الله عليه و سلم وفروع مذهب مالك رضي الله عنه و كتب المتصوفة ..... [6] » و مثال ذلك الإمام أبو عبد الله المقري كان يقرأ بين يدي السلطان أبي عنان صحيح مسلم بحضرة أكابر فقهاء فاس[7].

---

[1]- عيسى الحريري،المرجع السابق،ص.339.

[2]- ابن مرزوق،المسند..،ص.271،275،276.

[3]- وتجدر الإشارة هنا إلى مكانة صحيحي البخاري ومسلم في الوسط العلمي التلمساني وتمكن علمائه منهما،فاحتلوا الصدارة في إقرائهما ينظر: (مؤلف مجهول ،القول الاحوط فيما تداول من العلوم وكتبها بالمغربين الأقصى والأوسط ، مخطوط بالمكتبة الوطنية الجزائرية،رقم 3185،الورقتان14و15؛ ابن مرزوق،المسند....،ص. 277؛ القلصادي،المصدر السابق، ص.103).

[4]- ابن فضل الله العمري،المصدر السابق،ص. 565؛ وترد عن القلقشندي عبارة:"تحضر العلماء وفضلاء الناس وأعيانهم إلى محاضرته...":المصدر السابق،ج5،ص.206.

[5]- عبد الله العمراني ،المرجع السابق،ص.68.

[6]- ابن بطوطة،المصدر السابق،ص.433.

[7]- ابن مريم،المصدر السابق،ص.162.

و لمكانتهم العلمية و نباهتهم، و لي بعض العلماء مهام دبلوماسية لسلاطينهم منهم الإمام أبو إسحاق التنسي الذي توجّه إلى يوسف بن عبد الحق المريني رسولا وفاوضه في شأن الصلح باسم سلطانه يغمرا سن بن زيان[1]

وخلال تواجده بالمغرب، اجتمع إليه الفقهاء يطلبون منه دروسا في الحديث، و حتّى السلطان نفسه أحسن استقباله بمراكش و أكرم مثواه [2] ،يشهد على ذلك قوله:"ما صافحني أحد قط إلاّ أحسست بارتعاش يده لهيبة السلطان إلا الفقيه أبا إسحاق التنسي عندما صافحني أدركتني منه مهابة فكانت يدي ترتعش من هيبته[3]".

فلا أدلّ من هذا الكلام على مكانة أبي إسحاق بالنسبة للحاكم المريني.وعلى العموم كانت تلك السفارات التي تولاها علماء من تلمسان فرصا سانحة لاستمالتهم من قبل سلاطين بني مرين.

والأمر أكثر وضوحا مع أبي الحسن التنسي الذي تولىّ هو الأخر السفارة بين السلطان الزياني أبي سعيد عثمان ونظيره المريني، ويبدوا أن سياسة هذا الأخير مع علماء تلمسان آتت أكلها هذه المرة . وهو ما أحس به السلطان الزياني ، فاتهم أبا الحسن التنسي بالميل لبني مرين[4]. بعد توجهه في الرسالة إليهم فبقي في البلاط المريني وتمكن من السلطنة، وكان له فيها ما لم يعهد مثله لفقيه مكانة وحظوة....[5] ".بل وأصبح فقيه حضرته[6].

1- ابن مرزوق،المناقب المرزوقية...،ص.278-293؛ عبد العزيز فيلالي ، المرجع السابق،ج2،ص.330.

2- ابن مرزوق، المصدر نفسه،...،ص.278- 279.

3- المصدر نفسه، ص.293.

4- المصدر نفسه،ص.294؛ ولنفس المؤلف ،المسند....،ص.479؛ أبو العباس المقري ،أزهار الرياض...، ج5،ص.13.

5- ابن مرزوق،المسند....،ص.479.

6- ابن مريم،المصدر السابق،ص.123؛ أبو العباس المقري ،أزهار الرياض...، ج5، ص.13.

وعلى الرّغم من توتر العلاقات السياسية الزبانية المرينية فان سلاطين بني مرين حرصوا على نيل رضى فقهاء وصلحاء تلمسان [1]. وكما كانت البداية مع آبي إسحاق التنسي وأبي يعقوب المريني استمر الأمر كذلك مع خلفائه وعلماء آخرين من تلمسان.

ثالثا– علماء تلمسان في المجالس العلمية السلطانية لبني مرين:

سبقت الإشارة إلى دور السلطان في عقد وتسيير مجالس العلم بحضرته، وقد تميز في هذا الإطار كلّ من أبي الحسن وابنه أبي عنان وفيما يلي توضيح ذلك.

1- المجلس العلمي للسلطان أبي الحسن المريني:

عرف البلاط المريني في عهد السلطان أبي الحسن أعظم مجالس العلم التي شهدتها الدولة المرينية[2]، وأصبح مدرسة يطمح إلى التعلم فيها، فتخرّجت منها شخصيات لها وزنها في تاريخ الفكر الإنساني[3].

لقد احتضن بلاط السلطان أبي الحسن حشدا من العلماء لا يحصى عددا على حدّ قول عبد الرحمان بن خلدون:" هذا ذكر من حضرنا من جملة السلطان أبي الحسن من أشياخنا وأصحابنا....[4].

بل يمكن القول أنهم المشهورون فقط حسب ابن مرزوق الخطيب من خلال قوله:"ولنسرد الآن من حضرني ذكره من المشاهير الملازمين له...[5]

وعليه لا يمكن الجزم بكون العلماء الآتي ذكرهم هم كل علماء تلمسان الذين الحقوا بالمجلس العلمي للسلطان آبي الحسن المريني، إذ من الممكن أن يوجد علماء آخرون

[1]- صابرة خطيف،المرجع السابق،ص.76.

[2]- عيسى الحريري،المرجع السابق،ص.338.

[3]- عبد الله العمراني،المرجع السابق،ص.66.

[4]-التعريف بابن خلدون ورحلته غربا وشرقا ،تحقيق:محمد بن تاويت الطنجي،صدر عن وزارة الثقافة بمناسبة الجزائر عاصمة الثقافة العربية،الجزائر،1428ه/2007م،ص.55.

[5]- ابن مرزوق، المسند....،ص.261.

سقط ذكرهم لسبب أو لأخر"فقد قيل أن عدد من غرق من العلماء في أسطول هذا السلطان أربعمائة عالم فما بالك بمن لم يركب الأسطول ونجا؟.....وهذا يعني أن العلماء كانوا متوافرين بحيث بلغ عدد الذين يصحبون السلطان- ولا يكونون عادة إلا من جهابذة أهل العلم- ذلك الرقم[1]".

لكن ينبغي توضيح أن هذا الأمر لم يكن وليد الصدفة،وإنما ثمرة جهد سابق وسياسة متبصرة بأهمية هذه الفئة (العلماء) في الدولة،فالسلطان أبو الحسن ورث عن أسلافه دولة مهيبة الجانب مزدهرة بالعلم والعلماء حيث "أبقى من كان منهم في خدمة أبيه [2]". و لم يكن بدوره أقل حرصا منهم في نشر العلم و الثقافة في ربوع المغرب فقد كان من « أبرّ الناس بأهل العلم و أعرفهم بقدرهم، استخلصهم لنفسه و جمعهم من سائر بلاده في حضرته إذا سمع بمن له رسوخ قدم في العلم أقدمه على حضرته و جعله من خواص أهل مجلسه و أجرى عليهم الجرايات التي تكفيهم حضرا و سفرا، فأجتمع بحضرته أعلام، ثمّ ضم لهم من كان بتلمسان و أحوا زها حين استيلائه عليها، ثم استمر هذا العمل في دخوله بلاد إفريقية.... [3] ».

وقد اعتبر أحد الباحثين اصطحاب جماعات العلماء و الفقهاء و الأدباء و الشعراء و المحدثين و الفلاسفة في الرّحلات والحملات العسكرية لهذا السلطان إلى جانب إلزامهم بحضور مجلسه العلمي أثناء الإقامة « ظاهرة علمية [4] » صارت بعده بمئات السنين مثالا يحتذى[5]، و يعرّفها على أنها نوع من المدارس المتنقلة [6] ، إلى جانب المدارس التي شيدها هذا هذا السلطان في الأماكن التي وصل إليها حكمه.

---

[1]- عبد الله كنون، المرجع السابق، ج3،ص.190.

[2]- ابن مرزوق ،المسند.....،ص.247.

[3]- المصدر نفسه،ص.260.

[4]- عبد الله العمراني،المرجع السابق،ص.66.

[5]- في إشارة إلى حملة نابليون على مصر.

[6]- عبد الله العمراني،المرجع السابق،ص.66.

فهل يمكن إدراج هذا الأمر ضمن الحملات الثقافية الرسمية لسلاطين بني مرين [1] ؟ أم نحن أمام فرصة أعمق للاحتكاك بين العلماء ، فكلنا نعلم ما لرحلة العالم من فضل وأثر طيب في تكوينه وإفادة غيره ،فما بالنا برحلة جماعية لأكبر العلماء الذين قدر لهم أن يجتمعوا في مجلس سلطان واحد ثم يتحركوا في صعيد واحد في أرجاء بلاد المغرب وما نتج عنه من ازدهار للحركة العلمية والفكرية بالمنطقة،و لم تتأت هذه الفرصة إلاّ في مجلس السلطان أبي الحسن المريني.

وفيما يلي نماذج لعلماء تلمسانيين نظموا في المجلس العلمي للسلطان أبي الحسن المريني:

1- أبو زيد عبد الرحمان وأبو موسى عيسى بن محمد بن عبد الله:

عرفا بابني الإمام [2] التنسيان البرشكيان التلمسانيان [3] أكبرهما أبو زيد عبد الرحمان، لم تذكر المصادر تاريخ ولادتهما لكن تتحدث عن فرارهما من مدينتهما (برشك)خوفا على مصيرهما بعد مقتل والدهما صوب تونس آخر المائة السابعة للهجرة، فأخذا العلم عن تلامذة ابن زيتون وأبي عبد الله بن شعيب الدكالي وهذا بعد أن كانا قد قرآ القران في بلدهما ابتدءا [4] وأسندت لهما وظيفة قضاء مدينة تونس [5].

وبعد عودتهما إلى المغرب الأوسط أقاما في مدينة الجزائر لامتناع برشك عليهما بسبب استمرار تغلب زيرم عليها،ولما حاصر أبو يعقوب المريني تلمسان غادرا الجزائر نحو

---

[1]- محمد رزوق،المرجع السابق،ص.77.

[2]- نسبة لوالدهما أبي عبد الله محمد بن عبد الله الذي كان إماما بأحد مساجد مدينة برشك اتهمه زيرم بن حمادى والأصل بالياء بدل الميم-عندما تغلب على المدينة بإخفاء وديعة مالية لأعدائه وطالبه بها فقتله لرفضه تسليمه إياها سنة683ه/1284م انظر: (ابن مرزوق،المسند...،ص. 133؛ ابن فرحون،المصدر السابق،ج1، ص.429؛ عبد الرحمن بن خلدون،العبر...،ج7،ص.133،ابن مريم، المصدر السابق،ص. 125؛يحي بوعزيز، إعلام الفكر والثقافة في الجزائر المحروسة،دار الغرب الإسلامي،بيروت،1417ه/1995م،ص.19).

[3]- عبد الرحمن بن خلدون،التعريف...،ص.28.

[4]- ابن مرزوق ،المسند.....،ص.265.

[5]-الأنصاري،فهرست الرصاع،ص.92.

مدينة مليانة [1].أين التقيا الكاتب منديل بن محمد الكناني [2] فاسند لهما خطة القضاء بهذه المدينة[3].

وعندما عاد حكم المغرب الأوسط لبني عبد الواد نظمهما أبو حمو موسى الأول في مجلسه واعيان دولته وخصهما بالفتوى والشورى ومكنهما من الثأر لوالدهما.

وفي سنة 720ه/1320م رحلا إلى المشرق لأداء فريضة الحج واجهتها بكبار العلماء ،ولما دخل أبو الحسن المريني تلمسان استدعاهما وأدنى مجلسهما ثم رافقاه أينما حل به المقام بعد ذلك.

توفي أبو زيد عبد الرحمن سنة 743ه/1342م،بينما توفي أبو موسى عيسى سنة 749ه/1348م متأثرا بالطاعون [4] بلغا منزلة رفيعة من العلم والحظوة بين العلماء والحكام وصفهما لسان الدين بن الخطيب بـ:"علما تلمسان الشامخان وعالماها الراسخان[5].

الراسخان[5].

2-أبو عبد الله محمد الآبلي:

هو أبو عبد الله محمد بن إبراهيم العبدري الآبلي التلمساني،ولد بتلمسان سنة 681ه/1282م أصله أندلسي من مدينة ابلة (AVILA)،انتقل أبوه وعمه إلى تلمسان،

[1]- عبد الرحمن بن خلدون،العبر...،ج7،ص.133؛ ابن مريم،المصدر السابق،ص.126.

[2]- وفد إلى المنطقة لضبط الجباية واستخلاص الأموال: (عبد الرحمن بن خلدون،التعريف...،ص29).

[3]- عبد الرحمن بن خلدون،العبر...،ج7،ص.133.

[4]- ابن فرحون، المصدر السابق،ص. 429؛ ابن مريم، المصدر السابق،ص. 125،126؛ ابن أبي دينار، المصدر السابق، ص.147.

[5]- الإحاطة ...مج 2،ص.200-201، جوانب أخرى من حياة العالمين ابن الإمام انظر: (ابن مرزوق،المناقب المرزوقية...،ص،202،280،يحي بن خلدون، المصدر السابق،ج 1، ص. 130-131؛ أبو العباس المقري ،أزهار الرياض...، ج 5، ص. 16؛محمد بن مخلوف ،شجرة النور الزكية في طبقات المالكية، دار الكتاب العربي بيروت، ب.ت، ص. 219-220، الوزير السراج، المصدر السابق، ص. 809-812 ؛ الحجوي ، المرجع السابق، ص.75؛ Barges, Complément de l'histoire des Béni Zeiyan rois de Tlemcen, Paris, 1407/1887.,P.56- 66.

فاستخدمهم يغمرا سن بن زيان وولده في جندهم، وولد محمد بها أوكلت العناية به إلى جدّه لأمه القاضي محمد بن غلبون في غياب والده الذي كان ضمن تنقلات الجيش، هذه الرعاية سمحت لمحمد أن ينشا ميّالا للعلم مخالفا بذلك اتجاه أبيه وأعمامه الذين احترفوا الجندية[1].

أخذ عن فقهاء تلمسان كابني الإمام و أبي الحسن التنسي ونبغ في الفلسفة و المنطق و الرياضيات وسائر العلوم العقلية، عيّن من قبل السلطان الزياني أبي سعيد عثمان قهرمان للقصر[2] فكره ذلك و ارتحل نحو المشرق آخر المائة السابعة و دخل مصر و الشّام والعراق وأخذ عن العلماء الذين إلتقى بهم[3] .

توجه نحو فاس و بقي عند خلّوف المغيلي وأخذ عنه التعاليم ثمّ إنتقل إلى مراكش وأخذ عن كبار علمائها كاإبن البنّاء و غيره ، وبعد و فاة هذا الأخير توجه إلى جبال السوس أين مكث عدّة سنوات قضاها في البحث و التعليم ، نظمه أبو الحسن المريني في طبقة العلماء، فلازمه و حضر معه وقعة طريف و كان إبنه أبو عنان يقرأ عليه[43] ، توفي بفاس 757هــ/1356م.

3- أبو عبد الله بن مرزوق الخطيب (ت 781ه/1379م): هو أبو عبد لله محمد بن أحمد بن مرزوق ، يعرف بالخطيب و الجد ، ولد سنــة 711ه/1311م بتلمســان[5] ،

---

[1]- يحي بن خلدون، المصدر السابق،ج 1، ص. 120؛ عبد الرحمن بن خلدون،التعريف...،ص. 33-37؛ أبو العباس المقري أزهار الرياض...،ج 5، ص. 60-61؛ابن القاضي،جذوة الاقتباس....، ج 1،ص.231؛التنبكتي،كفاية المحتاج، ج2، ص.53-57).

[2] – عبد الرحمان بن خلدون ، العبر ...ج7، ص .123

[3] – أحمد بن أبي يحي عبد الرحمان بن أبي عبدالله الشريف التلمساني، مجموع فيه مناقب سيدي أبي عبد اله الشريف ولديه سيدي عبد الله الغريق و الولي الصالح سيدي أبي عبد الرحمان ، مخطوط رقم 314، عن موقع مؤسسة الملك عبد العزيز لآل سعود، الدار البيضاء: WWW. FONCTION . ORG .MA ، الورقة 7/ظ.

[4] – إبن مرزوق ، ص. 266 ، إبن القاضي، جذوة الإقتباس...ج 1، ص. 304- 305؛ ابن مريم ، المصدر السابق، ص. 216.

[5] – ابن مرزوق ، المناقب المرزوقية ، ص 291 ، قارن مع: (عبد الرحمن بن خلدون، التعريف..،ص. 49 ؛ ابن مريم، المصدر السابق ، ص .184).

و بهـــا درس مختلف العلـــوم على مشيختها كابني الإمـــام والآبلي وغيرهم وعلى عادة ، وعلى عادة أهل العصر رحل في طلب العلم فكانت وجهته الأولى هي بجاية أين جلس إلى أبي علي ناصر الدين المشدالي[1]، و منها إلى تونس ثمّ إرتحل إلى المشرق لأداء فريضة الحج و بقي مترددا بين حواضرها للدّرس و التّحصيل ، وهناك إختلاف بين المؤرخين في عدد سفراته إلى المشرق للحج و طلب العلم[2].

خطب على عدة منابر بالمغرب و الأندلس، وكان مقدما عند الملوك فالسلطان أبو الحسن المريني «....لمّا قدم المغرب إشتمل عليه ... إشتمالا خصّه بنفسه وجعله محل سره و إمام جماعته و خطيب منبره و أمين رسالته[3] ».

تصفه المصادر ب « علم الأعلام فخر المغرب على المشرق... [4] » و «...خطيب العدوتين المحدث الحافل[5] ».

توفي سنة 781هـــ/1379م بالقاهرة، من أشهر مؤلفاته «...المسند الصحيح الحسن في مآثر و محاسن مولانا أبي الحسن ».

4- أبو عبد الله محمد بن عبد النور (ت749ه/1348م):

---

[1] - ابن مرزوق ، المناقب المرزوقية ، ص. 289.

[2] - المصدر نفسه ، ص. 304؛ عبد العزيز فيلالي، المرجع السابق ، ج2، ص. 331.

[3] - ابن القاضي ، جذوة الإقتباس ...ج1 ، ص. 226.

[4] - لسان الدين بن الخطيب، الإحاطة ...ج3، ص. 104

[5] - أبو عبد الله محمد المجاري الأندلسي، برنامج المجاري، تحقيق: محمد أبو الأجفان، دار الغرب الإسلامي، بيروت ، 1402 ه/ 1982 م،ص . 105-106 ؛ وأنظر أيضا: (يحي بن خلدون ،المصدر السباق،ج 1، ص . 144-115؛ عبد الرحمن ابن خلدون ،التعريف...، ص. 49-52؛ التنبكتي، كفاية المحتاج... ،ج 2، ص. 89-92 ؛ نصر الدين ابن داود، المرجع السابق ، ص. 97-102؛ عمار هلال، المرجع السابق، ص156؛ الكتاني، المرجع السابق، ص.521-523).

هو أبو عبد الله محمد بن عبد النور الندرومي التلمساني [1] نشا بندرومة واخذ عن مشايخها ثم انتقل إلى تلمسان أين نظمه السلطان أبو الحسن المريني في فقهاء مجلسه بإشارة من ابني الإمام الذين تفقه عليها وكان من أصحابهما ،كان ممن هلك بالطاعون في تونس سنة 749ه/1348م [2].

5-أبو عبد الله محمد النجار (749ه/1348م):

هو أبو عبد الله محمد بن يحي بن علي النجار التلمساني، مراكشي الأصل، ولد ونشأ بتلمسان وأخذ عن علمائها كالآبلي ، فبرع في العلوم العقلية وغيرها،ثم ارتحل إلى المغرب الأقصى للمزيد من التحصيل [3] قال عنه الآبلي:" ما قرأ علي أحد حتى قلت له : لم يبق عندي ما أقول لك غير ابن النجار [4]".

ووصفه المقرّي بقوله:" لم يكن ابن النجار بصيرا بالفقه وإنما عنده ذكاء زائد [5]"،توفي هو الأخر بتونس بالطاعون سنة 749هاو 750ه/1349م في صحبته للسلطان أبي الحسن في حملته على المغرب الأدنى.

2 -المجلس العلمي للسلطان أبي عنان المريني:

ورث هذا السلطان عن والده دولة مهيبة الجانب، مزدهرة بالعلم والعلماء ، و لم يكن بدوره أقل همة وحرصا في استقدام ما أمكن منم العلماء إلى حاضرة ملكه [6] وإحياء

---

[1]- عبد الرحمن بن خلدون،التعريف...،ص.46.

[2]- ابن مرزوق،المسند... ، ص. 267 ؛يحي بن خلدون ،المصدر السباق، ج 1، ص. 121-122؛ ابن القاضي، جذوة الاقتباس ...،ج 1 ، ص. 301، التنبكتي، نيل الابتهاج....،ج 2،ص.59؛ أبو العباس المقري ،أزهار الرياض...،ج 5، ص.50؛ ابن مخلوف ،المرجع السابق، ص.221؛ عادل نويهض، المرجع السابق،ص.330).

[3]- عبد الرحمن بن خلدون،التعريف...،ص.47.

[4]- التنبكتي، نيل الابتهاج....،ج2،ص.57.

[5]- المصدر نفسه،ج2،ص.58؛ وانظر جوانب أخرى من حياة ابن النجار في :(يحي بن خلدون ،المصدر السباق، ص.119، ابن القاضي، جذوة الاقتباس ...ج1 ،ص.302؛ أبو العباس المقري ،أزهار الرياض...،ج5،ص.51).

[6]- ابن مرزوق،المسند... ، ص. 175؛ محمد المختار اسكندر، المفسرون الجزائريون عبر القرون رواية ودراية من القرن الثاني الهجري إلى القرن الرابع عشر، دحلب، الجزائر، ب.ت، ص112.

مجالسه بمختلف العلوم،تشهد على هذا الآمر عدة مصادر،منها قول ابن بطوطة:"وأما اشتغاله بالعلم فهاهو أيده الله تعالى بعقد مجالس العلم في كل يوم بعد صلاة الصبح...[1]".

فقد كان الإمام أبو عبد الله المقري يقرا بين يديه صحيح مسلم في حضرة أكابر فقهاء فاس[2]ويروي انه حضر مجلس للإمام أبي عبد الله الشريف التلمساني،فترل عن سرير ملكه،وجلس مع بقية الحضور على فقال عند إنهاء الدرس:"إني لأرى العلم يخرج من منابت شعره[3]".

إن هذا التعليق ينم عن المستوى الفكري لهذا السلطان،وقدرته على تقييم ما يقرا بين يديه،بل إن المصادر تتحدث بأنه "اجتمع لديه علماء المغرب[4]".

ومن بين العلماء الذين ضمهم المجلس العلمي للسلطان أبي عنان نذكر:

1- أبو عبد الله المقري (759ه/1357م):

هو محمد بن محمد بن احمد أبي بكر بن يحي بن عبد الرحمن بن أبي بكر بن علي القرشي المقري التلمساني [5].ولد بتلمسان ،لكن تاريخ ولادته غير مصرح به فحتى أبو العباس المقري لم يذكره ويبرر هذا الآمر بأنه سنة السلف الصالح في عدم ذكر تواريخ ميلادهم وله في هذا أبيات تفيد هذا المعنى:

---

[1]- ابن مرزوق ، المسند، ،ص.433.

[2]- ابن مريم، المصدر السابق،ص. 162؛ أبو العباس المقري، نفح الطيب...، ج 5، ص. 281؛ أحمد جلول بدوي: " الشريف أبو عبد الله التلمساني " في مجلة: الأصالة، صدرت عن وزارة التعليم الأصلي والشؤون الدينية، العدد الرابع، شعبنان / أكتوبر، 1391ه/ 1971م، الجزائر، ص. 51.

[3]- أحمد بن أبي يحي،المخطوط السابق،الورقة11/ظ.

[4]- المصدر نفسه ، الورقة11/ و.

[5]- لسان الدين بن الخطيب،الإحاطة....،ج 2،ص.191؛ يحي بن خلدون ،المصدر السباق،ج 1، ص. 121؛ المقري ، نفح الطيب...،ج 5،ص204،ولنفس المؤلف،أزهار الرياض،ج 5،ص.28- 29 ؛ التنبكتي،كفاية المحتاج....،ج 2، ص.60-66؛- Barges,op .cit ,p.241 ؛ محمد عبد الهادي أبو الأجفان، أبو عبد الله محمد المقري التلمساني، الدار العربية للكتاب، تونس، 1408ه/1988م، ص.22- 23).

احفظ لسانك لا تبح بثلاثة سن ومال ما استطعت ومذهب.

فعلى الثلاثة تبتلى بثلاثـــة بمكـــفر وبحـــاسد ومكذب[1].

نشأ بتلمسان وأخذ عن علمائها، كابني الإمام والآبلي ، ثم رحل إلى بجاية ، تونس والمغرب الأقصى لاستكمال علومه؛ تولّى عدة مناصب ، من أهمها قضاء مدينة تونس، وترك العديد من المؤلفات خاصة في المذهب المالكي، إذ يعتبر أبرز علماء المدرسة المالكية، توفي سنة759ه/ 1359م[2].

2- أبو الحسن علي بن أحمد بن الفحام:

استدعاه أبو عنان، صنع الساعة المائية المقابلة للباب الشمالي للمدرسة العنانية سنة 758ه/ 1357م، فاستحسنها أبو عنان وأكرم صاحبها، كما صنع أخرى في قصر أبي حمو موسى الثاني، لكن لم يصلنا إلاّ وصفها، في حين مازالت آثار الأولى موجدة إلى الآن[3].

وصفه ابن مرزوق بأنّه: " الواحد في عصره في التعاليم...وأوقفهم مع الظواهر الشرعية..." [4].

---

[1]- نفح الطيب...، ج5،ص.207.

[2]- يحي بن خلدون، المصدر السابق، ج 1، ص. 121؛ عبد الرحمن بن خلدون، التعريف...، ص. 59؛ ابن القاضي، جذوة الاقتباس...، ج1، ص.298؛ التنبكتي، نيل الابتهاج...، ج2، ص 75- 84؛ وله أيضا: كفاية المحتاج...، ج2، ص. 60- 66؛ أبو العباس المقري، أزهار الرياض...، ج 5، ص. 28- 29؛ وله أيضا: نفح الطيب...، ج 5، ص. 201- 209؛ مجدي محمد عاشور، الثابت والمتغير في فكر الإمام أبي إسحاق الشاطبي ، دار البحوث للدراسات الإسلامية وإحياء التراث، دبي، 1423ه/ 2002م، ص. 56- 58؛ محمد بن محمد مخلوف ، المرجع السابق، ص. 232؛ Barges, op. cit, p. 241 - 250).

[3]- الجزنائي، المصدر السابق، ص. 53؛ ابن مرزوق، المناقب المرزوقية، ص. 192؛ عبد الحميد حاجيات، أبو حمو موسى...، ص. 179- 180؛ Triq Madani,op.cit (أنظر الملحق).

[4]- المناقب المرزوقية، ص.193.

3 - أبو الحسن علي بن عبد النور (ت :764ه/ 1363م):

وهو أخ ورفيق القاضي محمد بن عبد النور في دروس ابني الإمام، إلا أنه أقصر منه باعا في الفقه، فلمّا خلع أبو عنان طاعة أبيه استنفره في جملته وولاه قضاء مكناسة، خرج حاجا سنة 764ه/ 1363م، فتوفي في طواف القدوم[1].

4- أبو عبد الله الشريف التلمساني (ت: 771ه/ 1369م):

هو محمد بن أحمد بن علي الحسين العلوي ، ولد سنة 710ه/ 1310م [2]، نشأ بتلمسان وأخذ عن مشيختها كابني الإمام ، وعمران المشدالي وابن عبد النور ، ولازم الآبلي كثيرا، ثم رحل إلى تونس 740ه/ 1339م، ومنها نحو فاس، ليعود إلى تلمسان وانتصب بها للتدريس ، ولما استولى السلطان أبو عنان المريني على تلمسان 753ه/ 1352م، نظمه في مجلسه العلمي ، وبعد أن استقر السلطان أبو حمو موسى الزياني بتلمسان استدعى أبا عبد الله الشريف، وأصهر له في ابنته، وبنا له المدرسة المعروفة بـــاليعقوبية ، واستمر مقيما بتلمسان للتدريس ، وبث العلم ، وتمكّن من ختم تفسير القرآن الكريم مرّتين: مفتاح الوصول إلى بناء الفروع على الأصول. توفي سنة 771ه/ 1369م [3] .

---

[1]- يحي بن خلدون، المصدر السابق، ج1، ص.122؛ عبد الرحمن بن خلدون، التعريف...، ص. 46- 47؛ ابن مريم، المصدر السابق، ص. 144.

[2]- عبد الرحمن بن خلدون، التعريف...، ص. 62؛ التنبكتي، نيل الابتهاج...، ج2، ص. 89؛ بابا خويا الحاج المهدي، المرجع السابق، ص. 42؛ ولكن حفيد أبي عبد الله الشريف يذكر أن تاريخ مولد جدّه هو 716ه: (أحمد بن أبي يحي المخطوط السابق، الورقة5/ و).

[3]- يحي بن خلدون، المصدر السابق، ج 1، ص 120؛ أبو عبد الله محمد الشريف التلمساني ، مفتاح الوصول إلى بناء الفروع على الأوصول، تحقيق: محمد فركوس، المكتبة الملكية السعودية، مكتبة الريان، بيروت، 1419ه/ 1998م، ص.51- 224؛ ابن قنفذ القسنطيني، الوفيات، ص. 368؛ ابن القاضي، درة الحجال، ج 2، ص. 269؛ ابن مريم، المصدر السابق، ص. 166؛ التنبكتي، نيل الابتهاج...، ج 2، ص. 87- 104؛ المراغي ، المرجع السابق، ج 2، ص. 189- 190؛ الحجوي، المرجع السابق، ج4، ص.80؛ عبد الحميد حاجيات، أبو حمو موسى الزياني...، ص. 162- 163؛ أحمد جلول بدوي، المرجع السابق، ص. 48- 55؛ محمد اسكندر، المرجع السابق، ص. 109- 110.

فالملاحظ أنّ أبا عنان المريني عمل على توظيف الفقهاء إلى جانبه منذ انتزاعه الحكم من والده[1]، بما فيهم علماء مدينة تلمسان، وحتّى الذي كانوا من قبل في المجلس العلمي لوالده كالآبلي وابن مرزوق الخطيب وغيرهما.

[1]- صابرة خطيف، المرجع السابق، ص. 87.

الفصل الثالث

أدوار ومكانة علماء تلمسان الملحقين بالمجالس العلمية لسلاطين بني مرين

- تمهيد
- أولا- مواقف بعض علماء تلمسان من الوظائف السلطانية
- ثانيا- الدور الديني والتعليمي لعلماء تلمسان في البلاط المريني
- ثالثا- القضـــاء
- رابعا- الدور السياسي لعلماء تلمسان

تمهيد:

لقد كان لفئة العلماء أدوار كبيرة في المسيرة التاريخية لبلاد المغرب، تركّزت في مرحلة الفتح في نشر الإسلام وتثبيته وتعميقه في نفوس أهل المغرب الإسلامي ونشر اللغة العربية في هذه الربوع[1]، ثم تعاظمت تلك الأدوار في الحقب التالية للفتح واستقرار الإسلام وبرزت بشكل خاص في العصر الوسيط الذي تميز بحواضره التي تغذّت بالثقافة الإسلامية منذ عصر الفتوح، وأصبحت مراكز إشعاع ثقافي إستقطبت العديد من رجال العلم والصلاح [2] من بينها (تلمسان) التي اتخذها بنو عبد الواد قاعدة لملكهم وحرصوا على إستقدام أكبر عدد من العلماء إليها, فكان هذا الأمر مدعاة للتنافس مع جارتيها الحفصية والمرينية.

وفي هذا الإطار يجب التأكيد على أن إستيلاء بني مرين على تلمسان خاصة أيام السلطانين أبي الحسن وأبي عنان لم يكن ليوقف ركب التقدم الفكري، فقد إستمر النشاط الديني والتعليمي حافلا مثلما كان في عهد بني عبد الواد [3]، ويظهر من خلال المصادر أن الأطر العلمية من أساتذة ومدرسين وعلماء كانت متبادلة بين المؤسسات التعليمية والدينية، وتؤكد أيضا ظاهرة تنقل العلماء بين مختلف الحواضر المغربية [4]، بما فيها حواضر المغربين الأوسط والأقصى، للمشاركة في المحاضرات والمناقشات العلمية أو استكمال الدراسة بالمعاهد المغربية[5]، فضلا عن إحتضان المجالس العلمية لسلاطين بني مرين لعدد من أولئك العلماء التلمسانيين الذين كان لهم الدور الفعال في مجالات مختلفة سيما بعد أن أوكلت إليهم وظائف في البلاط أو مهام خارج حدود الدولة مع كل ما تتطلبه من الكفاءة والثقة تشهد على مكانتهم الأقوال المتواترة في مختلف المصادر من قبل التلاميذ والشيوخ وحتى السلاطين أنفسهم.

---

[1] - محمد محمود عبد الله بن بيه، المرجع السابق، ص.19 ؛ عبد الله كنون، المرجع السابق، ج1، ص.46.

[2] - عبد الحميد حاجيات، الحياة الفكرية بتلمسان...، ص.136.

[3] - إبراهيم حركات، الصلات الفكرية...،ص.185.

[4] - صالح بن قربة وآخرون، المرجع السابق، ص.123.

[5] - إبراهيم حركات، الصلات الفكرية...، ص.186.

أولا- مواقف بعض علماء تلمسان من الوظائف السلطانية:

نسعى من خلال هذا العنصر إلى التعرّف على مواقف بعض علماء تلمسان الذين ألحقوا بالمجالس العلمية للسلاطين من ممارسة وظيفة ما بإسم السلطة الحاكمة قصد الوصول إلى معرفة جانب من الدوافع التي كانت وراء قبولهم بها، سيما إذا كنا نعلم أن كثيرين غيرهم كانت لهم آراء مغايرة حول هذه القضية, فمنهم من آثر الحياد وركن إلى إعتزال السلطان ورعا وطمعا في التفرغ للعلم والتأليف والتدريس [1]، أو إبتعادا عن الحكام الظَّلَمة الذين يريدون تسخير العلماء لخدمتهم والدعاية لأشخاصهم والكتابة بأسمائهم ونحو ذلك[2].

فبعض المحن التي تعرض لها عدد من العلماء تؤكد أن الهدف الرئيسي من محاولة السلطة إحتوائهم هو توظيفهم لصالحها أو ردعا لهم وليس في كل الحالات إيمانا بمكانتهم أو تقديسا لهم[3], لعظم سلطتهم على النّفوس وقوة نفوذهم في رجال الدولة[4].

وإذا أكره أحدهم على وظيفة ما فإنه يؤثر التدريس على غيره من الرتب السّلطانية كإبراهيم التنسي والآبلي [5]...، ومن أهم أسباب ذلك صيانة العلم وإعزازه، فكان الإجتهاد بضرورة الإبتعاد عن أبواب الخلفاء[6].

---

[1]- سليمان ولد خسال، جهود فقهاء المغرب العربي في بناء النظام السياسي الإسلامي بين سنة 633ه/922ه، أطروحة دكتوراه، كلية العلوم الإسلامية، جامعة الجزائر، 1429ه/2008 م،ص.185.

[2]- أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق، ج1، ص.46

[3]- صابرة خطيف، المرجع السابق، ص.60.

[4]- عبد الله كنون، المرجع السابق، ج1، ص.190.

[5]- سليمان ولد خسال، المرجع السابق، ص.188.

[6]- المرجع نفسه، ص.195

بينما تعامل آخرون مع السّلطة الحاكمة ومارسوا بعض الوظائف – قابلين بها عن طيب خاطر أو مرغمين عليها لظروف معينة – واعتبروا أصحابها من أولياء أمور المسلمين تجب طاعتهم ولا يجوز الخروج عليهم حفاظا على المصلحة العامة[1].

فانتظم العديد منهم في المجالس العلمية لسلاطين دولهم أو سائر دول العالم الإسلامي، والملاحظ أن إنتقالهم من خدمة سلطان إلى آخر كان مدعاة لتعامل السلاطين معهم بحذر وهو ما جعلهم عرضة للمحن[2].

وإليك المواقف التالية التي تنمّ عن نفور أنفس أولئك العلماء من تلك الوظائف، لكن في نفس الوقت وجدوا فيها فرصا سانحة لإسداء النصح والمشورة خاصة في أمور الدين وما تعلق بمصلحة عامة الناس – دون إغفال من تقرب من السلاطين لأهداف مادية بحته أو بحثا عن طموح سياسي والأمثلة على ذلك عديدة ليس المجال للتوسع فيها[3] -:

1- سأل الكاتب أبو الفضل بن أبي مدين أبا زيد بن الإمام ذات يوم عن حاله وهو قاعد ينتظر خروج السلطان فقال له: أما الآن فأنا مشرك، فقال: أعيذك من ذلك، فقال: لم أرد الشرك في التوحيد، لكن في التعظيم والمراقبة وإلا فأي شيء جلوسي هاهنا[4]؟

2- رد الإمام أبي عبد الله الشريف التلمساني على امتنان السلطان أبي عنان فارس بعد علم هذا الأخير بوديعة السلطان الزياني أبي سعيد عثمان عنده[5] بقوله: " و أما تقريبك

تقريبك

[1]- سليمان ولد خسال، المرجع السابق، ص.196.

[2]- يحي بوعزيز: " الأوضاع السياسية والثقافية في عصر الشيخين محمد بن مرزوق وأحمد بن قنفذ الخطيب" في مجلة: دراسات جزائرية، العدد الأول، جوان، 1418ه / 1997م، ص.66.

[3]- أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق، ج1، ص.46.

[4]- أبو العباس المقري، أزهار الرياض...، ج5، ص.25.

[5]- أحمد بن أبي يحي بن أبي عبد الله الشريف، المخطوط السابق، الورقة 39/و.

إياي فقد ضرني أكثر مما نفعني ونقص به ديني وعلمي [1] " حيث اعتبر التقرب من الملوك مخلا برسالة العلماء ومنقصا من الدين و لم يكن هذا الرد لولا إحساسه بمسؤوليته العلمية [2] والدينية.

3- وذهب القاضي أبو عبد الله المقري إلى أبعد من ذلك حيث اعتبر أن: " شر العلماء علماء السلاطين [3] ". ففي نظره تناقصت قيمة العلماء بقدر تقربهم من السلاطين على مرّ العصور إذ في صدر الإسلام كان العلماء يفرون من السلاطين، ثم جاء العصر الثاني أجابوا فيه دعوات السلاطين ثم كان بعدهم من يأتيهم بلا دعوة، وأكثرهم إذا دعي أجاب لطموح أنفسهم إلى الدنيا, حيث أصبح السلاطين يسخّرون العلماء لأغراضهم الخاصة إلا قليلا منهم [4].

ونلمس نفور أبي عبد الله المقري من البقاء في خدمة السلطان سفارته إلى الأندلس مبعوثا من قبل السلطان أبي عنان وإمتناعه عن الرجوع إلى فاس إلا بعد وساطة جماعة من علماء غرناطة – كما سيأتي بعد بضع صفحات – وهو موقف ليس بعيدا عن موقف أستاذه الآبلي الذي تميز باستقلاله الفكري والنفور من المناصب السياسية، كما كان ينفر من كل ما يأتي من السلطة الحاكمة لكن دون تصريح علني [5]، وصفه إبن مريم بأنه: " آخر آخر سلسلة الأئمة العلماء الذين تمكنوا من الإستغناء عن سلطة رؤساء النحل [6]" فإلى جانب عدم دخوله تحت أي مذهب سياسي فهو أيضا كان خارجا عن كل مذهب عقدي.

---

[1]- أحمد بابا التنبكتي، نيل الإبتهاج...، ج2، ص.97-98.

[2]- بابا خويا الحاج المهدي، المرجع السابق، ص.44.

[3]- الونشريسي، المصدر السابق، ج2، ص.376.

[4]- أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق، ج1، ص.45-46.

[5]- محمد بوشقيف، المرجع السابق، ص.292

[6]- المصدر السابق،ص.216.

وعلى العموم، نسجل أن علماء تلمسان مارسوا مختلف الوظائف كالقضاء والفتوى والإمامة واستعملوا في السفارة بأسماء سلاطين بني مرين ولأغراض مختلفة، ولعل الخبرة التي اكتسبوها من ممارسة تلك الوظائف في بلاطات غيرهم كان لها الدور الكبير في اختيارهم، إلى جانب علمهم وحذقهم طبعا، لكن ربما كان هذا الوضع أي الإنتقال في الخدمة من بلاط إلى آخر هو ما جعل السلاطين يتعاملون معهم بيقظة وحذر، تدل على ذلك النكبات التي تعرض لها عدد منهم, وبعبارة أوضح أتيحت لفئة العلماء ممارسة الوظائف العلمية والقضائية رغم تشتت الوحدة السياسية[1].

[1]- ابن القنفذ القسنطيني، أنس الفقير...،ص.ب من مقدمة التحقيق.

ثانيا – الدور الديني والتعليمي لعلماء تلمسان في البلاط المريني:

1- الخطابة والفتوى:

لقد كانت مقاييس اختيار الخطيب صعبة، لأن الجمهور يشترك في الحكم عليه، بخلاف المفتي والقاضي اللذين يتوليان وظيفة سياسية،دينية ،ومن شروط الخطيب الفصاحة وجودة الصوت وسعة الإطلاع والجرأة الأدبية[1].

في حين نجد أن إشادة وثناء بعض العلماء على السلاطين في خطبهم كان من أسباب توليتهم الخطابة وتقريبهم،وأوضح مثال نسوقه هو ابن مرزوق الخطيب الذي عينه السلطان أبو الحسن خطيبا بجامع العباد[2].وصفة يحي بن خلدون بقوله:"...الخطيب المصقع ذو وجاهة عند السلطان...."[3].

من جهة ثانية، كانت بلاغات الدولة الرسمية تقرا عند إقامة صلاة الجمعة،وكانت خطبة الجمعة تبدأ بالصلاة على النبي الكريم صلى الله عليه وسلم، والتسليم على خلفائه الأقربين، والدعاء للسلطان القائم، فإذا كان ثمة نزاع على السلطة بين عدة متنافسين كان لخطبة الجمعة شأن سياسي كبير[4].

فالمسجد وإلى جانب الأدوار التي اضطلع بها منذ مرحلة الفتح الإسلامي لبلاد المغرب في سائر مصالح المجتمع ليشمل ذلك الدور في العصر الوسيط الجانب السياسي أو ما يمكن وصفه بالتوظيف السياسي للمسجد.

[1]- أبو القاسم سعد الله ،المرجع السابق،ج1،ص.401.

[2]- ابن مرزوق ،المناقب المرزوقية،ص304؛ بوبة مجاني: "تاريخ أسرة المرازقة من خلال مخطوط لأبي عبد الله محمد بن أحمد بن مرزوق المعروف بالخطيب والجد والملقب بشمس الدين (ت 781ه/1476-1476-1477م)" في مجلة: حوليات يصدرها المتحف الوطني للآثار،العدد الثامن، 1420ه/1999م، الجزائر،ص.126.

[3]- المصدر السابق، ج1، ص.125.

[4]- روجيه لوتورنو، المرجع السابق، ص.45.

بينما تتمثل أعلى وظيفة يتولاها العالم في الفتوى، ذلك أنها تحتاج إلى درجة عالية من العلم والتعمق في مسائل الفقه ومعرفة قوية للقرآن وعلومه وعلوم الحديث والقياس ونحو ذلك، كما تتطلب قوة الشخصية والنزاهة والصلاح والشجاعة في الرأي والثبات على قول الحق، ونسجل في هذا الإطار العديد من المواقف لعلماء من تلمسان ثبتوا على آرائهم و لم يخافوا في الله لومة لائم بداية من ابني الإمام الذين عدا "...من جلّة العلماء وبقية من السلف العظماء، لم يكن في زمانهم أعظم منهم قدرا ولا أعلى ذكرا ولا أوقع هيا عند الملوك ولا أمرا..." [1]، فكانا موضع إستشارة السلطان أبي الحسن في جميع أمره، وحضرا معه أهم معاركه، بل وكانا من يشير عليه بعلماء آخرين ممن ينظمهم في مجلسه[2].

ونسوق كمثال على مدى إمتثال السلطان أبي الحسن بما يشير عليه به ابن الإمام قضية ندبه الناس إلى الإعانة بأموالهم على الجهاد فقال له أبو زيد: " لا يصح لك هذا حتى تكنس بيت المال وتصلي فيه ركعتين كما فعل الإمام علي بن أبي طالب - رضي الله عنه – "[3].

2- التعليم:

لمّا كان التّعليم مقدمة لأية نهضة ثقافية، وحجر الزاوية في دفع الحركة العلمية والفكرية وتوسيع رقعتها وترقية المجتمع حضاريا [4]، وجد سلاطين بني مرين في إلحاق أبرز

---

[1]- أحمد بن أبي يحي، المخطوط السابق، الورقة 7 / و.

[2]- إبن مرزوق، المسند...،ص.265.

[3]- ابن مريم، المصدر السابق، ص.124؛ إلى جانب فتاوى من هذين الإمامين وعلماء آخرين في عدة قضايا انظر بعضها عند: (ابن مرزوق، المسند...، ص. 130، 303، 287-289، 192، 209؛ المازوني، المصدر السابق، ج 2، ص.112، 183، 293، 253؛ الونشريسي، المصدر السابق، ج6، ص.329 على سبيل المثال فهو في الأصل مجموع لفتاوى عدد من العلماء بما فيهم علماء تلمسان).

[4]- عبد العزيز فيلالي، المرجع السابق، ج2،ص.497.

العلماء بمجالسهم فرصة للاضطلاع على ما استجد من مناهج التعليم وطرائقه باعتبار هذه الأخيرة تابعة للشيخ نفسه[1]، وفي نفس الوقت فرصة لتجديدها هذا من جهة.

ومن جهة ثانية يلاحظ أن أولئك العلماء آثروا التدريس على غيره من الرّتب السلطانية في حال إكراههم على الخدمة باسم السلطة الحاكمة – كما سبقت الإشارة – واعتبروا مهمة التعليم والجلوس إلى طلبة العلم أجلّ رسالة يحيون في سبيل تبليغها، ومن هنا كان تأثيرهم في أوسع فئة من الناس من خلال المجالس التي أداروها في مختلف أماكن العلم بما فيها قصر السلطان وبحضرته. والمثال الذي سوف نسوقه يعكس عمق الأثر الذي تركه نشاط علماء تلمسان في هذا المجال – طبعا دون إغفال أدوار علماء الأقطار الإسلامية الأخرى-.

لكن ما تجدر الإشارة إليه بداية هو أن أوضاع التعليم اختلفت في أقطار المغرب والأندلس، فتراوحت بين محافظ على اتصال سنده بالمشرق عبر شيوخ كبار، وبين منقطع السند، وقد أثّر هذا الأمر على مستوى التعليم وطريقته[2].

فبينما شهدت إفريقية نهضة علمية ابتداءا من منتصف القرن السابع الهجري الثالث عشر الميلادي بفضل أبي القاسم ابن زيتون الذي رجع من رحلته إلى المشرق بعلم كثير وتعليم حسن،ثم بعده أبو عبد الله بن شعيب الدكالي، فأحد عنهما أهل تونس واتصل سند تعليهما في تلاميذهما جيلا بعد جيل حتى إنتهى إلى القاضي ابن عبد السلام وانتقل من تونس إلى تلمسان بفضل ابني الإمام ثم أبي علي ناصر الدين المشدالي ورغم قلقهم التي يخشى معها انقطاع سندهم، إلا انه بقي متصلا بفضل تلاميذهم أيضا[3].

---

[1]- محمد الشريف سيدي موسى، المرجع السابق، ص.94.

[2]- عبد العزيز بومهرة، المرجع السابق، ص.132.

[3]- عبد الرحمن بن خلدون، المقدمة،ص. 438؛ عبد المجيد تركي، كيف يفسر ابن خلدون ظاهرة ازدهار العلوم الدينية وركودها بالمغرب والأندلس ضمن: قضايا ثقافية من تاريخ الغرب الإسلامي...، ص. 401-402؛ رابح بونار، عبقرية المشدالين...، ص.307.

وهذا على عكس فاس التي أصبحت خلوا من حسن التعليم من لدن إنقراض قرطبة والقيروان[1]، بعد أن نمت علميا بما أشع عليها من هاتين الحاضرتين ونفقت علومها حتى عهد الدولة الموحدية حسب شاهد من أهلها:" ومدينة فاس هذه هي حاضرة المغرب في وقتنا هذا، وموضع العلم منه اجتمع فيها علم القيروان وعلم قرطبة...فلما اضطرب أمر القيروان و...قرطبة رحل من هذه وهذه من كان فيهما من العلماء والفضلاء من كل طبقة...فترل أكثرهم مدينة فاس...[2]"، فانقطع سند التعليم عنهم ما أدّى إلى قصور التعليم عندهم وغياب ملكة التصرف فيه إذا علّموا أو ناظروا [3]، فيلازمون المدارس ستة عشرة سنة دون الحصول على المبتغى وبعد أن لازموا المجالس العلمية سكوتا لا ينطقون وعنايتهم بالحفظ فقط[4].

فجاءت دعوة سلاطين بني مرين إلى المناظرة العلمية، فأبو الحسن المريني لمّا جلب معه من فاس وتلمسان أشهر الفقهاء والكتّاب، كان يهدف إلى إثارة الحوار والمناقشة بين علماء تونس الذين يغلب عليهم الدراية والتحصيل ، وعلماء فاس الذين يغلب عليهم الحفظ، وذلك أثناء جلسات الدراسات والمناقشات العلمية التي كان يلذّ له تنظيمها والإشراف عليها[5].

وهذا ما وجّه إليه السلطان أبو عنان عندما أحسّ بذلك القصور في طريقة التعليم[6]، وحاول أن يفهم القائمين على التدريس بأهمية موقعهم وضرورة أن يكونوا على إضطلاع بما استجد من علوم وطرائق البحث فيها، وهذا الأمـــر يدخل ضمن مجهوداتهم كسلاطين

[1]- عبد الرحمن بن خلدون، المقدمة،ص.439.

[2]- ابن عبد الملك المراكشي، المصدر السابق، ص.256-257.

[3]- عبد الرحمن بن خلدون، المقدمة،ص.439.

[4]- عبد الرحمن بن خلدون، المصدر نفسه، الصفحة ذاتها؛ عبد المجيد تركي، المرجع السابق، ص401.

[5]- بابا خويا الحاج المهدي، المرجع السابق، ص.32؛ روبير برونشفيك، المرجع السابق، ج1، ص.198.

[6]- عبد العزيز بو مهرة، المرجع السابق،ص.133.

للنهوض بالحركة العلمية والاستفادة من علماء الحواضر الأخرى وهذا يظهر من خلال قوله للفقيه الصرصري:" أنا أمرتك بذلك كي تعلم ما عندك من العلم وما عند الناس وتعلم أن دار المغرب هي كعبة كل قاصد فلا يجب تتّكل على حفظك وتقتصر على ما حصل عندك ولا يمنعك ما أنت فيه من التصدّي عن ملاقاة من يرد من العلماء والتترل للأخذ عنهم، ولا يقدح ذلك في رتبتك...[1]".

إن هذه القصة تدفعنا إلى التساؤل عن سبب عدم قيام علماء فاس بالإحتكاك بالعلماء الوافدين خاصة علماء تلمسان بحكم الرّحَلات العلمية المتبادلة وحتى في الفترات التي خضعت فيها تلمسان للحكم المريني، وفي كل مرة كان يتم إلحاق علماء من تلمسان بالمجالس العلمية لسلاطين بني مرين مع ما تتيحه هذه الفرصة من تقارب وتبادل بين أولئك العلماء. فهل عزلة العلماء القائمين على التدريس في المغرب الأقصى هي السبب وراء ضعف دروسهم إلى جانب تأصل طريقة الحفظ والإستظهار [2]، وهل رأوا أن أخذهم عن علماء وافدين انتقاص لهم مع ما نالوه من مكانة لدى سلاطينهم، وهذا ما يستشف من قول السلطان أبي عنان: "ولا يقدح ذلك في رتبتك عندنا إن شاء الله".

وعلى العموم، فبادرة السلطان هذه دعوة للبحث عن أساليب جديدة في ميدان التعليم خاصة المحاورة والمناظرة وهو أسلوب تميزّ به علماء تلمسان وليس أدلّ على هذا الأمر من اختصاص أبي عنان مدرسته المتوكلية أعظم المدارس بالإمام أبي عبد الله المقري وبنائها له عند انتقاله إلى فاس[3].

[1]- أبو العباس المقري، أزهار الرياض...، ج 3، ص.27-28، وكانت هذه الحادثة عقب إنهاء السلطان أبي عنان بناء مدرسته المتوكلية بفاس والبحث عن عالم يسند إليه مهمة إقراء الفقه بها وكان في طليعة المرشحين اثنان من كبار علماء تلمسان هما أبو عيسى موسى بن الإمام وأبو عبد الله شريف أنظر: (محمد المنوني، ورقات...،ص382).

[2]- عبد العزيز بومهرة، المرجع السابق، ص.133.

[3]- أبو العباس المقري، أزهار الرياض...، ج1، ص.5.

3- التآليف:

كان الواقع في كل عصر وكل دولة تأليف الكتب للخلفاء والأمراء, فما من أمير ولا ملك محب للعلم إلا اجتمع العلماء حوله وألّفوا له الكتب فيما يحبّ من فروع العلم[1].

وهو ما كان بين سلاطين بني مرين وعلماء تلمسان الذين نظموهم في مجالسهم العلمية، فبينما وجد فيهم أولئك السلاطين مرجعا للنصح والمشورة لقي هؤلاء العلماء الدعم والرعاية لأعمالهم الفكرية والعلمية والثقافية مما سمح لهم بالإبداع وإنجاز أعمال حضارية رائدة في مختلف التخصصات[2].

كما أجزل سلاطين بني مرين الهبات والعطايا للعلماء على مؤلّفاتهم واختراعاتهم تشجيعا لهم على مواصلة العمل[3].

وعلى العموم، فإن علماء تلمسان وبصفة أخص أولئك الذين ألحقوا بالمجالس العلمية لسلاطين بني مرين كانوا مقلين في التأليف، فرغم وصولهم إلى مراتب راقية في العلم، والإجتهاد إلا أنهم لم يتركوا لنا ثمرات تلك الجهود الفذة في شكل مؤلفات[4].

وإذا ناقشنا أسباب هذه الظاهرة فلعل أول ما يلفت الإنتباه مواقف بعض العلماء من قضية التأليف ذاتها فهذا أبو عبد الله الآبلي يقول:" إنما أفسد العلم كثرة التأليف [5]" وما من شك أن موقف عالم بحجم الآبلي ترك أثره في تلامذته من بعده وذلك بالإهتمام بأخذ

1- جرجي زيدان، المرجع السابق، ج3، ص.189.
2- يحي بوعزيز، الأوضاع السياسية والثقافية...،ص.65.
3- محمد عيسى الحريري، المرجع السابق، ص.339.
4- عبد الجليل قريان، المرجع السابق، ص. 173؛ رابح بونار، عبقرية المشداليين...، ص. 307؛ محمد المختار اسكندر، المرجع السابق، ص.111.
5- ابن مريم، المصدر السابق، ص.216.

العلم من أفواه المشايخ، وعدم الجنوح نحو الكتابة وتدوين الأفكار نسبيا [1]، ولعله كان يرى أن هذا الأمر يؤدي إلى أن يصير (العلم والخطط بالتوارث) [2] هذا دون إغفال دور الجانب السياسي والأمني وأثره في تدوين الكتب مع ما يحتاجه هذا الأمر من الإستقرار وهو ما لم يتوفر لعلماء المغرب الإسلامي [3].

والأكيد أنه لم يخف عن أولئك العلماء أنهم علماء بلاط، وعالم البلاط يضطر — في كثير من الأحيان — إلى التنازل عن بعض المبادئ وعندئذ تنقص الدقة والصدق لإنتاجه، وهو الإتجاه الذي سلكته التواريخ السلطانية وهو ما أدى إلى جعل قسم هام من نتاج المؤرخين في خدمة الحكام على حساب الموضوعية والصدق [4]، وما وجد من تأليف كانت نزولا عند طلب السلطان بنفسه، أوألفها ذلك العالم تقربا من ذلك السلطان، أو حتى مساهمة منه في الحركة العلمية ومنها على سبيل المثال:

-**مفتاح الوصول إلى بناء الفروع على الأصول** : للإمام أبي عبد الله محمد الشريف الحسني التلمساني والذي ألفه في أصول الفقه [5] وأهداه للسلطان المريني أبي عنان فارس، فارس، وهو ما يظهر من مقدمة الكتاب المسجوعة [6]: "...مولى الأنام، الخليفة الإمام، أمير المؤمنين، المتوكل على رب العالمين، أبو عنان أبقاه الله تعالى... [7] ".

---

[1]- عبد الجليل قريان، المرجع السابق، ص.174.

[2]- أحمد بابا التنبكتي، كفاية المحتاج...،ج2، ص.55.

[3]- عبد الجليل قريان، المرجع السابق، ص.174.

[4]- عبد الحميد حاجيات، مقدمة تحقيقبغية الرواد...، ج1،ص.61-62.

[5]- أحمد بن أبي يحي بن أبي عبد الله الشريف، المخطوط السابق، الورقة27 / ظ.

[6]- الحجوي، المرجع السابق، ج 4، ص. 254؛ محمد بوشقيف، المرجع السابق، ص. 159،206؛ محمد بن رمضان شاوش والغوثي بن حمدان، المرجع السابق، ص. 260.

[7]- أبو عبد الله الشريف، المصدر السابق،ص.296.

-**المسند الصحيح الحسن في مآثر ومحاسن مولانا أبي الحسن** لابن مرزوق الخطيب أنهى تأليفه سنة 772ه/1371م، أطنب في مدح السلطان أبي الحسن وأشاد بالمكانة التي خص بها في عهده، فجمع فيه بين التأريخ للبلاط المريني والترجمة الشخصية [1]، فأبواب الكتاب الخمسة والخمسين تتحدث عن مآثر السلطان أبي الحسن المريني في شتى الميادين: الإدارية والإجتماعية والدينية والإقتصادية والعمرانية وهي بهذا تقدم مادة تاريخية خصبة عن البلاط المريني [2]، وهذا ما لم يتوفر في مصادر أخرى معاصرة أو لاحقة.

وفي ميدان الاختراع والإبداع لا أدلّ على تمكّن علماء تلمسان من الساعة المائية لابن الفحام والتي – كما سبقت الإشارة في الفصل الثاني – استحسنها السلطان أبو عنان وأكرمه عليها.

[1]- ابن مرزوق، المسند...، ص.66؛ وله أيضا: المناقب المرزوقية...، ص.80؛ ابن سودة، المرجع السابق، ص. 111.
[2]- ابن مرزوق، المناقب المرزوقية...،ص.80.

ثالثا – القضـــاء:

يشهد تاريخ القضاء في الإسلام أن كثيرا من العلماء كانوا يرفضون وظيفة القضاء، ويعتذرون عنها خوفا من عدم القدرة على القيام بمتطلباتها وتقديرا منهم لخطورتها[1] كونها " من الوظائف الداخلة تحت الخلافة [2]"، فالقضاء " منصب الفصل بين الناس في الخصومات حسما للتداعي وقطعا للتراع, إلا أنه بالأحكام الشرعية المتلقاه من الكتاب والسنة[3]".

ولقد نظّم سلاطين بني مرين البارزون هذه الوظيفة, فكان لهم مجالس يترأّسونها بأنفسهم للنّظر في القضايا المهمّة وسماع الشّكايات منها مجلس الفصل بالقصر الملكي بفاس[4]، وعلى غراره أسس أبو الحسن المريني قبة العدل بكل من سبتة وتلمسان وهي عبارة عن مجلس للمظالم يترأسه بنفسه أو ينيب عنه شخصية يثق بها من الوزراء أو الفقهاء[5].

من جهة ثانية كان لأولئك القضاة رئيسا أكبر يدعى قاضي القضاة [6]، كما كان للجيش قاض خاص يتنقل بتنقله، ويفصل في خصوماته[7].

وفي هذا الإطار نسجل العديد من الأسماء التلمسانية لعلماء مارسوا هذه الوظيفة برسم الخدمة في البلاط المريني نذكر منها على سبيل المثال:

---

[1]- الأنصاري، فهرست الرصاع، ص.34؛ أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق، ج1، ص.401- 498 ؛ Atallah Dhina, op.cit,p.321.

[2]- عبد الرحمن بن خلدون، المقدمة،ص.229.

[3]- المصدر نفسه، الصفحة ذاتها.

[4]- محمد المنوي، ورقات...،ص.81-82.

[5]- ابن فضل الله العمري، المصدر السابق، ص.566؛ محمد المنوني، ورقات ...، ص.82؛ إبراهيم حركات، المغرب عبر التاريخ...، ص.127.

[6]- إبراهيم حركات، المرجع السابق، ص.127.

[7]- المرجع نفسه، ص.127؛ إبراهيم بحاز: " مدخل إلى القضاء عند الزيانيين" في مجلة: الوعي، العدد المزدوج (3-4)، جمادى الثانية / ماي، 1432ه / 2011م، ص.63

– القاضي أبو عبد الله المقري الذي تولّى منصب قاضي الجماعة بفاس، وهو كبير القضاة والرئيس على القضاء [1]، وله مكانة عظمى في التقدير والإجلال، والشخصية الكبرى في مجالات العلم والسياسة [2]، تظهر من خلال ما وصفته به المصادر، فهذا لسان الدين بن الخطيب يقول عنه: " فاستقل أعظم الإستقلال وأنفذ الحكم وألان الكلمة وآثر التسديد وحمل الكل وخفض الجناح فحسنت عنه القاله وأحبته الخاصة والعامة [3]"، ووصفه ووصفه صاحب المرقبة العليا فيمن يستحق القضاء والفتي بقوله: " كان هذا الفقيه رحمه الله في غزارة الحفظ وكثرة مادة العلم عبرة من العبر، وآية من آيات الله الكبيرة، قلما تقع مسألة إلا ويأتي بجميع ما للناس فيها من الأقوال ويرجح ويعلل ويستدرك ويكمل قاضيا ماضيا عدلا جذلا[4] ".

ومن العلماء البارزين في القضاء أبو عثمان سعيد العقباني (811ه / 1408م) الذي ولي قضاء بجاية في عهد السلطان أبي عنان[5].

أمّا منصب قاضي العسكر فمن أشهر علماء تلمسان الذين تولوه القاضي أبو عبد الله بن عبد النور[6].

---

[1]– ابن فرحون، المصدر السابق، ج 2، ص. 245؛ المقري ، رحلة المقري...،ص. 52؛ إبراهيم بحاز، المرجع السابق، ص.63.

[2]– الأنصاري، فهرست الرصاع، ص.35.

[3]– الإحاطة...، مج2، ص.195.

[4]– أبو الحسن النباهي، ص.128.

[5]– هو سعيد بن محمد بن محمد العقباني التجيبي التلمساني، كنيته أبو عثمان، ولد سنة 716ه، أخذ عن أبي الإمام والآبلي وغيرهما، عدّ من أكبر علماء عصره ت (811ه/ 1408م): (المجاري ، المصدر السابق، ص.132؛ ابن مريم، المصدر السابق، ص.107؛ التنبكتي ، نيل الابتهاج...، ج1، ص. 205؛ الداودي، المصدر السابق، ج1، ص. 183؛ المراغي، المرجع السابق، ص. 19؛ رابح بونار، القاضي سعيد العقباني...، ص. 65- 67.

[6]– ابن مرزوق، المسند...، ص.142،173،267.

رابعا – الدور السياسي لعلماء تلمسان:

تميز الوضع السياسي لبلاد المغرب خلال القرنين الثامن والتاسع الهجريين 14، 15م بحدة الصراع والمنافسة بين دولها، وهو ما دفع في الكثير من الأحيان إلى تدخل بعض العلماء للتخفيف من تأزم تلك الأوضاع [1]، لكن دور العلماء برز بصفة أوضح من خلال تلك السفارات التي تولوها والتي كانت لأغراض مختلفة.

فبعد أن انتهت سفارة أبي الحسن التنسي بين أبي سعيد عثمان الزياني وأبي يعقوب المريني باستخلاص هذا الأخير للفقيه التنسي وضمه لمجلسه [2], نجده يتولى السفارة لصالح السلطان أبي الحسن المريني لكن سفارة من نوع آخر، فهي ليست من أجل الصلح وإنما قد تكون مهمة بعض السفارات المرينية حمل الهدايا الملكية إلى سلاطين مصر مع رسائل في شأن هدايا البقاع المقدسة وفي التوصية بالحجاج، وفي هذه الحالة كانت تذهب السفارات في رفقة واحدة مع ركاب الحجاج [3]، ومن بينها سفارة سنة 704ه / 1304م بين يوسف بن يعقوب المريني والناصر محمد بن المنصور الصالحي في دولته الثانية (698-741ه / 1299-1341م) وممن ذهب فيها أبو الحسن التنسي إذ كثيرا ما يرافق بعض ركاب الحجيج رجالات العلم والصلاح[4].

كما استعمل السلطان أبو الحسن المريني بعد انهزامه في معركة طريف ابن مرزوق الخطيب في سفارة إلى النصارى من أجل إبرام معاهدة الصلح وفداء ابنه الأمير أبي عمر

---

[1]- نصر الدين بن داود، المرجع السابق، ص.263.

[2]- ابن مرزوق، المسند...،ص.479.

[3]- محمد المنوني، ورقات...، ص.171.

[4]- المرجع نفسه، ص.174.

تاشفين إلى جانب تفقد بعض الثغور وسد حاجاتها [1]، وقد نجح ابن مرزوق في مهمته وأظهر مقدرته الدبلوماسية في تمثيل السلطان والدفاع عن مصالح الدولة[2].

و لمّا تمكّن أبو عنان المريني من انتزاع عرش أبيه عهِد بكتابة عهد البيعة إلى الإمام أبي عبدالله المقري[3] بتلمسان و ذلك للأسباب التالية:

-مكانته العلمية بتلمسان بعد تكوينه بها مند نشأتهم خروجه لطلب العلم في الحواضر المختلفة.

-مصاحبة جل العلماء لوالده في حملته على افريقية ،وكان أبو عبد الله المقري من العلماء القلائل الذين لم يتعاملوا مع والده [4].

وبعد هذا ضمه إلى مجلسه العلمي حيت تولى عدة مهام منها سفارته إلى الأندلس أين بقي سنتين، و لم يعد إلى فاس إلاّ بعد تدخّل جماعته من العلماء بطلب من السلطان نفسه[5].

كما استدعى أبو عنان ابن مرزوق الخطيب وضمه إلى مجلسه العلمي وكلّفه بالخروج في عدة سفارات باسمه منها:

- افتداء طرابلس من أيدي النصارى بملغ خمسين ألفا من الذهب العين[6] .

[1]- ابن مرزوق، المناقب المرزوقية...، ص. 305؛ وله أيضا: المسند، ص. 467، 495؛ ابن الأحمر، المصدر السابق، ص.25؛ الناصري، المصدر السابق، ج4، ص. 34

[2]- نصر الدين بن داود، المرجع السابق، ص.261.

[3]- عبد الرحمن بن خلدون، التعريف...، ص.68؛ التنبكتي، نيل الإبتاج...، ج2، ص76.

[4]- صابرة خطيف، المرجع السابق، ص.88.

[5]- مجدي عاشور، المرجع السابق، ص . 56؛ عمار هلال، المرجع السابق، ص. 156؛ عبد الرحمن بن خلدون، التعريف...، ص.60؛ أبو العباس المقري، نفح الطيب...، ج5، ص.209.

[6]- ابن السماع، المصدر السابق، ص. 103؛ ابن مرزوق، المناقب المرزوقية...، ص. 308؛ يحي بوعزيز، الأوضاع السياسية والإقتصادية...،ص.70.

- بعته إلى تونس ليخطب ابنة السلطان التي ردت الخطبة واختفت، ووشي إلى السلطان إن ابن مرزوق كان مضطلعا على مكانها فسجن لذلك [1]، لكن مكانة ابن مرزوق استمرت إلى عهد السلطان أبي سالم – كما سبقت الإشارة – ورأس عنده رئاسته كبرى[2] .

وبهذا يعتبر ابن مرزوق الخطيب آخر علماء تلمسان الذين احتفظوا بولائهم لسلاطين بني مرين، في عهد السلطان أبي سالم ، ثم في عهد أخيه عبد العزيز [3]، وتعتبر فترة حكم هذين السلطانين آخر عهد قوة بالنسبة للدولتين الزيانية والمرينية على حد سواء، بسبب غياب الاستقرار السياسي والتنافس، على العرش، وسبق الحديث عن أهمية هذا الأمر في انعقاد مجالس علمية بحضرة السلطان.

---

[1]- ابن خلدون، التعريف...، ص.52

[2]- يحي بن خلدون، المصدر السابق، ج1، ص.115.

[3]- المصدر نفسه، ص.115؛ عبد الحميد حاجيات؛ أبو حمو موسى سياسته وأدبه...، ص.15، 25.

خاتمة

بعد سقوط الدولة الموحدية انقسمت بلاد المغرب من الناحية السياسية، ورغم ما للتجزئة السياسية من تبعات خطيرة على باقي المجالات خاصة الاقتصادية والثقافية، إلاّ أنّ هذا الأمر لم يكن كذلك في بلاد المغرب ، فاقتصاد المنطقة عرف انتعاشا وازدهارا في فترات حكم السلاطين الأقوياء، كما أنّ الحياة الثقافية لم تأخذ منحى الأوضاع السياسية، وإنّما كانت في بعض الأحيان عاملا من عوامل ازدهارها وإثرائها، وأوضح مثال على ذلك حملة أبي الحسن المريني على إفريقية، فإذا اعتبرها العديد من الدراسات حملة عسكرية، هدفها توحيد المنطقة تحت السيادة المرينية، فهي أيضا حملة ثقافية بفضل العدد الكبير للعلماء الذين ساروا فيها، وما نتج عن حركتهم من تواصل وتبادل مع علماء الأقطار الأخرى، وفي هذا السياق يدخل اهتمام سلاطين دول المغرب بفئة العلماء، فعملوا على اجتذاب أكبر عدد منهم إلى حواضرهم وإكرامهم ، وفتح المجال أمامهم لممارسة مختلف الوظائف العلمية والدينية.

وهذا البحث يشمل بعض علماء مدينة تلمسان الذين استقطبتهم الحضرة الفاسية ونالوا الوجاهة وعظم الشّأن والمكانة في ظلّ سلاطين بني مرين الذين التحقوا ببلاطهم، وأهمّ النتائج التي تمّ التوصّل إليها:

- اعتبر بنو مرين مدينة تلمسان مدينة مغربية شأنها شأن باقي المدن في المغرب الأقصى، وعملوا على التواصل مع سكاها بمختلف فئاتهم، فكانت منشآتهم الدينية والتعليمية من أهم ما استقطبوا به طلبة العلم وشيوخه، وبهذا سمت تلك المنشآت العمرانية عن جانبها المادي إلى التأثير المعنوي، إذ ليس كل شيء يفرض بالقوة، وكلّنا نعلم تأثير فئة العلماء وكلمتها النافذة في باقي شرائح المجتمع.
- شكّل التشجيع المادّي والمعنوي من لدن الحكام دافعا للعديد من العلماء للإنتاج والإبداع وذلك بتوليتهم أرقى المناصب، ومكافئتهم على إبداعاتهم وتسهيل حركتهم بين مختلف الأقطار والترحاب بهم، أينما حلّ بهم المقام سواءا كان ذلك للتدريس أو للمزيد من التّحصيل، وفُتحت أمام العديد منهم فرصة المشاركة في الجلسات العلمية والمناقشات التي كان يحرض بعض سلاطين بني مرين على تنظيمها والمشاركة فيها، وغالبا ما كان يتم نظم أولئك العلماء في المجالس العلمية

الرسمية التي تميّز فيها اثنان من أعظم سلاطين بني مرين، هما: أبو الحسن المريني وابنه أبو عنان، والفترة التي اختيرت كإطار زمني لهذا البحث والتي تشمل القرنين الثامن والتاسع الهجريين/ الرابع عشر والخامس عشر للميلاد، أتاحت لنا فرصة إثبات أهمية شخص السلطان في انعقاد مثل تلك المجالس وذلك بالمقارنة مع شخصيات السلاطين في فترات أخرى.

- انقسمت تلك المجالس السلطانية إلى نوعين:
  1 - *مجالس خاصة* : تعقد بالقصر بحضرة السلطان بصفة منتظمة وتختص بقراءة كتب معيّنة ، مثل اختصاص ابن مرزوق الخطيب بقراءة صحيحي البخاري ومسلم بين يدي السلطان أبي الحسن المريني.
  2 *مجالس عامة*: غالبا ما كانت تحدث عرضاً في القصر السلطاني، أو في أي مجلس علمي خارجه ، ربّما صادف حضور السلطان الذي يكون في العديد من الأحيان من يثير قضية للنقاش بين العلماء، وبالتالي شكّلت فرصا للعديد منهم لإثبات مكانتهم العلمية، كما فتحت المجال للدخول في مناظرات وفتح حوارات علمية عكست المستوى العلمي الراقي للعلماء المشاركين فيها، وقد حفظت المصادر خاصة كتب النوازل والفتاوى جانبا كبيرا من تلك المناظرات التي دارت بين أيدي السلاطين، وربّما كان إعجاب السلطان بعلم أحد أولئك العلماء دافعا لنظمه في سلك مجلسه العلمي.
- وأهم ما ميّز تلك المجالس بصفة عامة حريّة الفكر وجدية النّقاش ، وذكاء اختيار المواضيع المطروحة لذلك، كما عكست أخلاق العلماء وأدب الحوار والمناظرة ، وهو أسلوب تعليمي انتبه سلاطين بني مرين لنتائجه ودعوا لاكتسابه ، كما فعل السلطان أبو عنان مع علماء بلاطه.
- يعتبر ما قام به علماء تلمسان في بلاط بني مرين من مؤلّفات واختراعات وحتّى دروس ومناقشات مساهمة في الحركة العلمية للمغربين الأوسط والأقصى وقناة للتواصل الفكري والعلمي بين القطرين، إلى جانب أدوارهم في المجالات الأخرى،

سيما تلك السفارات التي خرجوا فيها بأسماء سلاطين بني مرين، وما تجدر الإشارة إليه هنا، هو أنّ تلك السفارات كانت من أهمّ ما ساعد على الاحتكاك بين علماء تلمسان وسلاطين بني مرين، سيما ما تعلّق منها بعقد الصلح أو افتداء الأسرى، بداية من سفارة أبي إسحاق التنسي إلى السلطان المريني يسوف بن عبد الحق.

- ورغم ما حقّقه علماء تلمسان في البلاد المريني من إنجازات بلّغت العديد منهم المكانة والحظوة لدى بعض السلاطين المرينيين، إلاّ أننا نسجل قلّتهم من الناحية العددية مقارنة مع علماء الأقطار الأخرى، الذين أمّوا البلاط المريني.

وخلاصة القول هي أنّ هذا البحث ما يزال بحاجة إلى المزيد من الإثراء والتوسيع، وربّما إعادة النظر في بعض الأفكار حسب ما يستجدّ من وثائق حول الحياة داخل القصور الملكية في مختلف الجوانب خاصة ما تعلّق بالعلاقات بين الحكّام والعلماء ، وكلّنا نعلم مكانة هاتين الفئتين في مجتمعات العصور الوسطى.

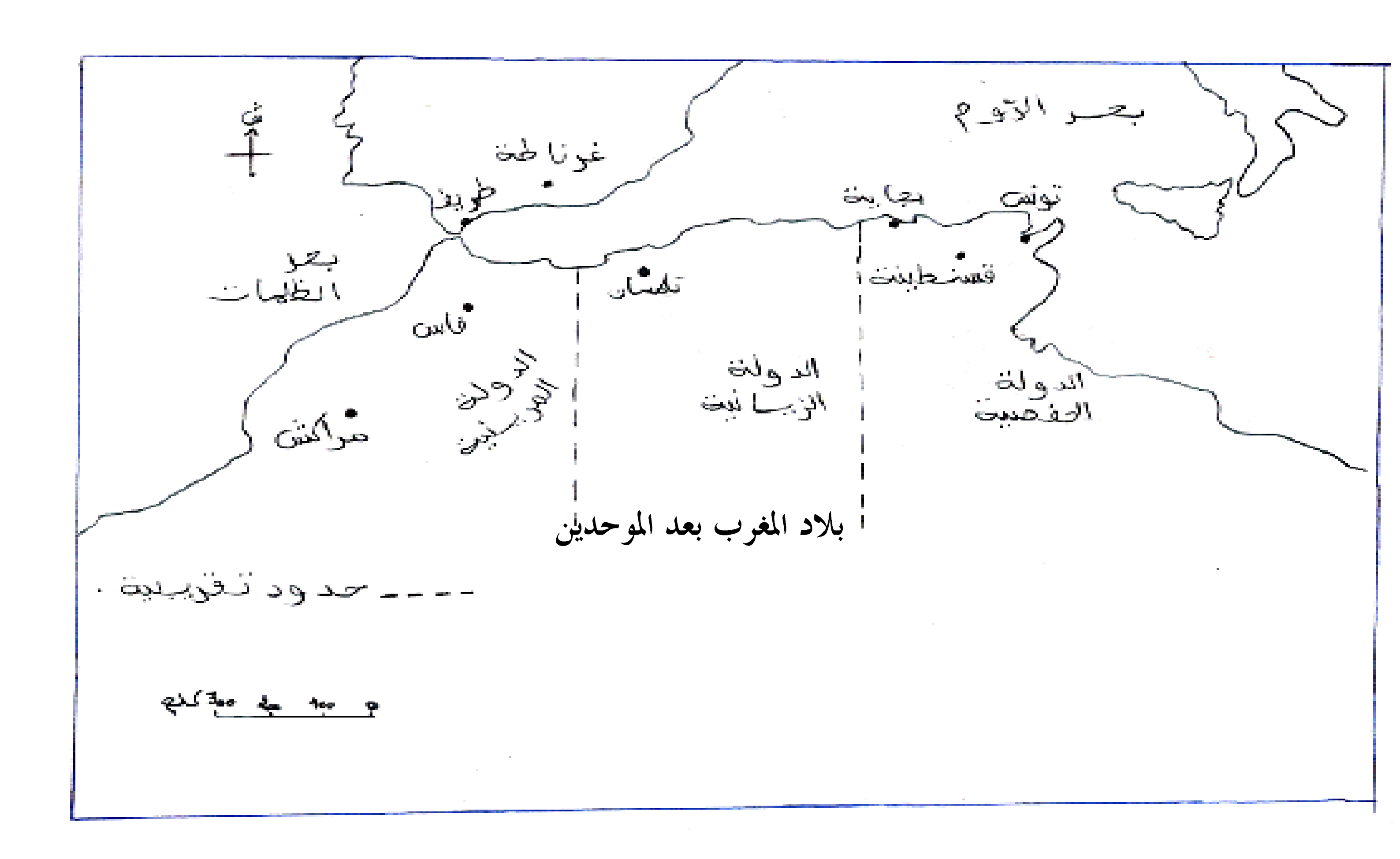
الملاحــق

1 -الخرائط والمخططات

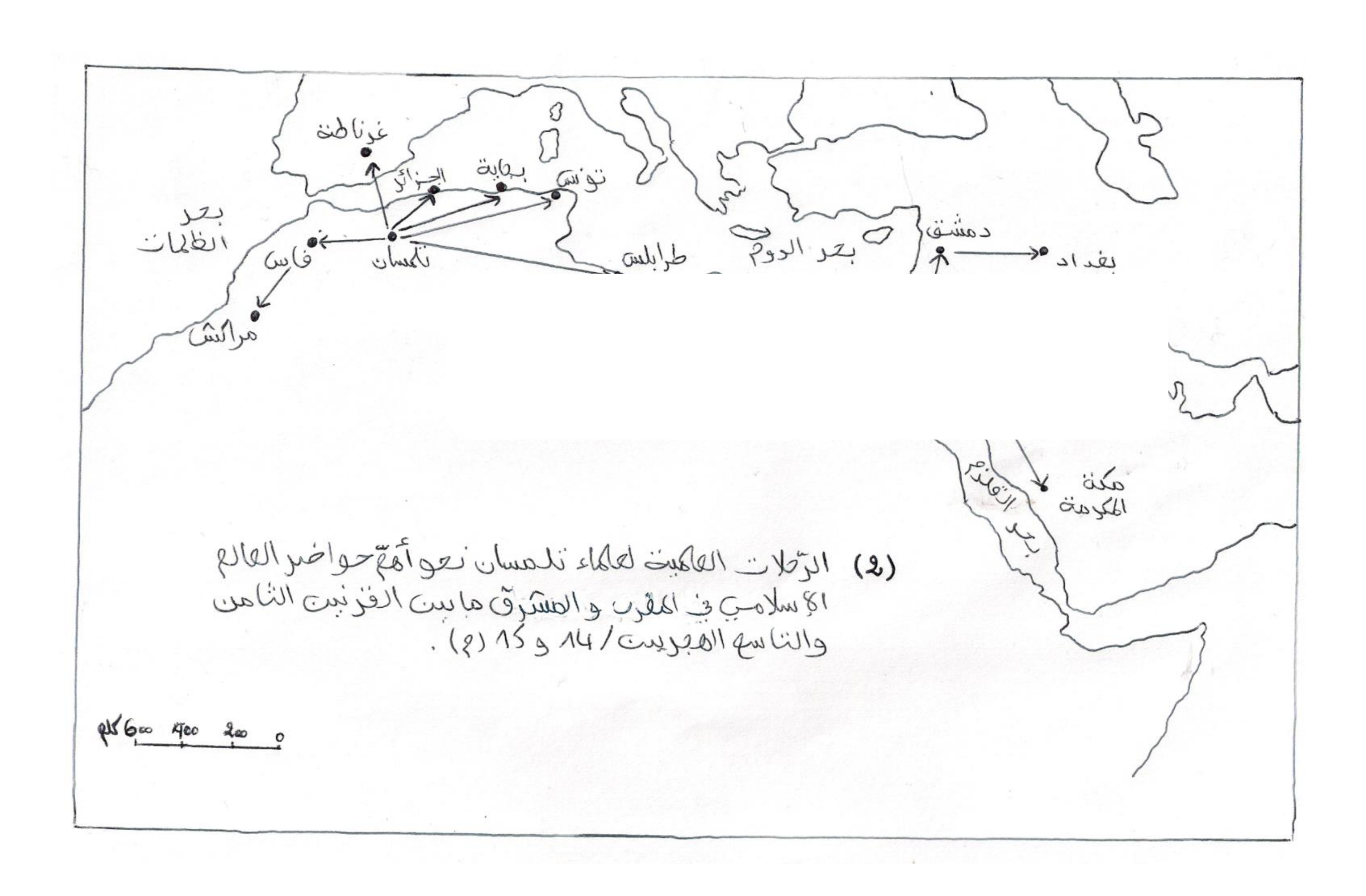
2 -الوثائق والنّصوص

3 -الصّــور

الخرائط والمخططات:

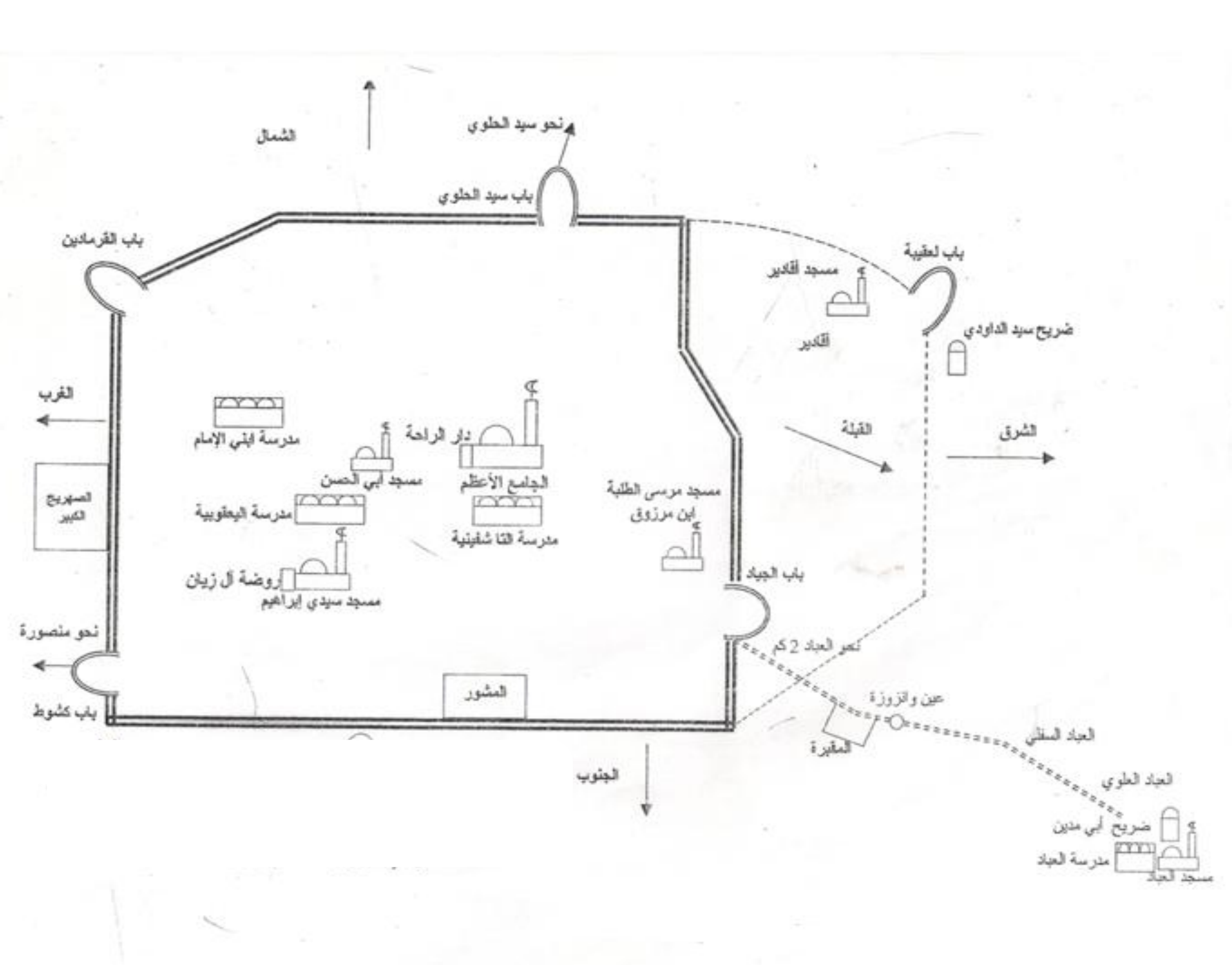


بلاد المغرب بعد الموحدين



الرحلات العلمية لعلماء تلمسان نحو أهم حواضر العالم الإسلامي في المغرب والمشرق

ما بين القرنين الثامن والتاسع الهجريين / 14– 15م



مخطط مدينة تلمسان في القرن 9ه/ 15م

نصر الدين بن داود المرجع السابق، ص. 291.

2- الوثائق والنصوص:



بسم الله الرحمن الرحيم صلى الله على سيدنا محمد وآله

قال الشيخ الفقيه العالم الورع

العارف بالله الشريف الحسني

مؤلف هذا السفر المبارك

الكريم أبو عبد الله محمد

الشريف مؤلف ديوان الشرف

المعزز رحمه الله تعالى ورضي عنه

قال أبو عبد الله محمد الشريف الحسني

رضي الله

الورقة الأولى من مخطوط روضة الأزهار في التعريف بآل محمد المختار – صلى الله عليه وسلّم- لأبي عبد الله الشريف التلمساني .المكتبة الوطنية رقم **2608**.

مناظرة جرت بين الشيخ الإمام الراوية
أبي علي ناصر الدين المشدالي البجائي والشيخ
العلامة البحر الفقيه النظار أبي موسى
عيسى بن محمد بن عبد الله بن الإمام التلمساني رحمهما الله

مناظرة بين أبي علي ناصر الدين المشدالي وأبي موسى عيسى بن الإمام في مخطوط نوازل ابن مرزوق. المكتبة الوطنية 1342، الورقة 24.

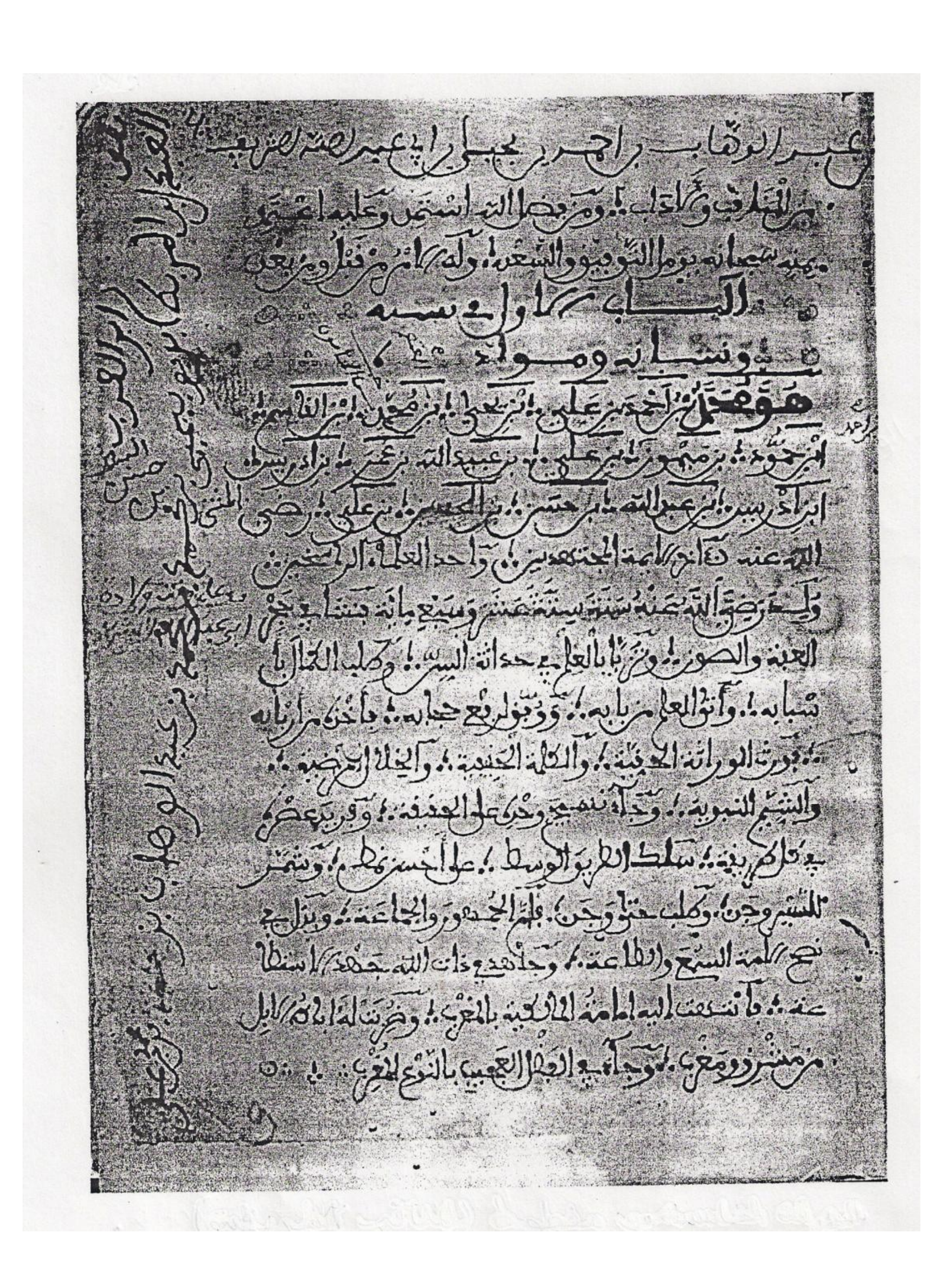
بسم الله الرحمن الرحيم

وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم

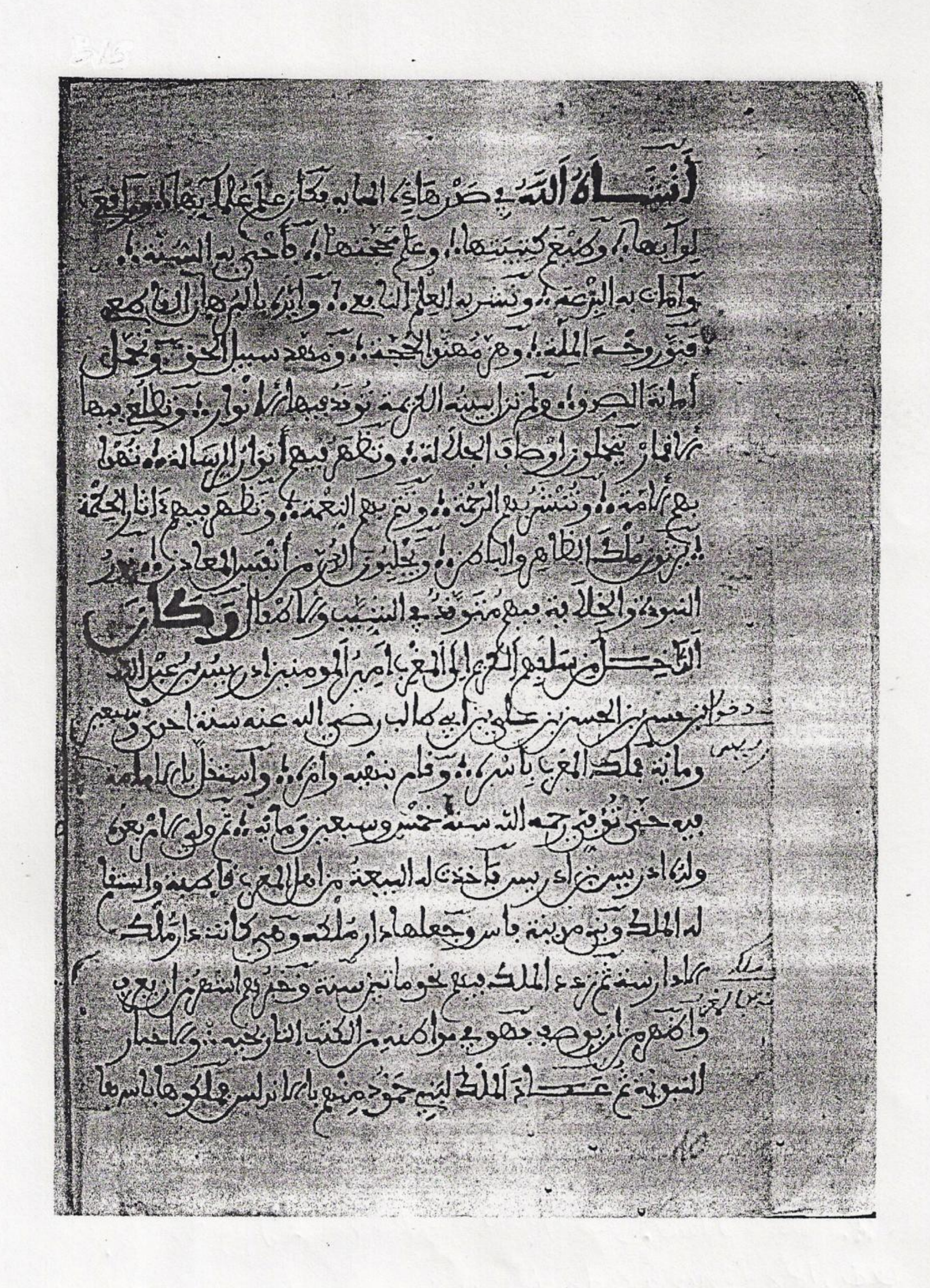
مناظرة بين سعيد العقباني وأبي العباس القباب حول درهم الإعانة من مخطوط نوازل ابن مرزوق الورقة **19**.

الورقة **20** من مخطوط نوازل ابن مرزوق

إشارة إلى مناظرة أخرى بين سعيد العقباني والقباب في مخطوط نوازل ابن مرزوق حول مسألة الإيلاء، الورقة 23.



بعض الأوراق مخطوط : سيدي أبي عبد الله الشريف ، مخطوط بمؤسسة آل سعود، الدار البيضاء، رقم: 314، الورقة 5/ و



أنشأه الله في صدر هاذه الأمة فكان علم علمائها ورافع
لوائها، وكاشف كتيبتها، وعلم محجتها، فأحيى به السنة،
وأمات به البدعة، ونشر به العلم النافع، وأيد بالبرهان القاطع
فنور رحمة الملة، وهو مفتاح الجنة، ومنقذ سبيل الحق، وحامل
أمانة الصدق، ولم تزل بيته الكريمة يوقد فيها الأنوار، وتطلع فيها
الأقمار يتحلون أوصاف الجلالة، وتظهر فيهم أنوار الرسالة، تنقل
فيهم الأمة، وتنشر فيهم الرحمة، وتتم فيهم النعمة، وتظهر فيهم آثار الحكمة
يحرزون ملك الظاهر والباطن، ويخلفون الخلف من أنفس المعادن، ومفخر
النبوة والخلافة فيهم متوقفة في النسب والأفعال، وكان
الداخل من سلفهم الكريم إلى المغرب أمير المؤمنين إدريس بن عبد الله
ابن حسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه سنة إحدى وسبعين
ومائة فملك المغرب بأسره، وقام بنفسه وأمره، واستخلف بالإمامة
فيه حتى توفي رحمه الله سنة خمس وسبعين ومائة، ثم ولي الأمر بعده
ولده إدريس بن إدريس فأخذت له البيعة من أهل المغرب فأطاعه واستقام
له الملك وبنى مدينة فاس وجعلها دار ملكه وهي كانت دار ملك
الأدارسة ثم زال الملك فيهم نحو مائتين سنة وخبرهم أشهر من
والأكثر من أن يوصف بحصر في مواضعه من الكتب التاريخية والأخبار
النبوية ثم عاد الملك لبني حمود منهم بالأندلس فملكوها بأسرها

الورقة 5/ ظ من مخطوط مناقب سيدي أبي عبد الله الشريف

> بحث أبي عبد الله الشريف مع شيخه أبي يحيى بن الإمام

لقد كانت يوميته العلوم العقلية وبحث يوما مع شيخه أبي يحيى
ابن الإمام في قوله صلى الله عليه وسلم لا يحل لامرأة تؤمن بالله واليوم
الآخر أن تحد على ميت فوق ثلاث إلا على زوج أربعة أشهر وعشرا
هل يقتضي وجوب الإحداد أو إنما يقتضيه فاختار الشيخ انتفاء
الوجوب بناء على أن أربعة أشهر وعشرا في الحديث منصوب
بفعل تقديره فلتحد أربعة أشهر وعشرا فدل عليه ما تقدم من قوله
صلى الله عليه وسلم تحد فوق ثلاث واختار أبو عبد الله عدم
انتفاء الوجوب بناء على أن أربعة أشهر وعشرا منصوب
بفعل محذوف تقديره فيحل أربعة أشهر وعشرا لدلالة قوله صلى
الله عليه وسلم لا يحل وانتشر الكلام بينهما جوابا واعتراضا
حتى أسهم الحق لأبي عبد الله فأنشده الشيخ قول الشاعر

أعلمه الرماية كل يوم ... فلما اشتد ساعده رماني

> [illegible]

وسمعت الشيخ الفقيه أبا يحيى المطغري يقول إن السلطان أبا عنان
لما اجتمع لديه علماء المغرب وغيرهم أمر الفقيه العالم الحافظ
القاضي أبو عبد الله المقري أن يقرأ التفسير فامتنع من ذلك وقال
إن أبا عبد الله الشريف أحق بذلك مني فقال له السلطان إنك
عالم بعلوم القرآن وأهل التفسير فاقرأه فقال له إن أبا عبد الله أعلم
بذلك مني فلا يسعني أن أتقدم له فعجبوا من إنصافه و[illegible]

الورقة 11/ و من مخطوط مناقب سيدي أبي عبد الله الشريف

أبو عبد الله بحضرة كانه علماء المغرب وكان المجلس في دار السلطان
أبي عنان من مملكته وجلس معهم على العلم فتميز أبو عبد الله
عن بنوع من فنون الحكمة أو هندسة أو الحساب وأنا ما علم
يحيكو بعلمه حتى قال السلطان عند فراغه أتى لأن العالم خرج
من منابت ينبع ولما اتفق المجلس وخرجوا من هناك
جاء الفقيه القاضي أبو عبد الله الفشتالي رحمه الله فطلب منه
تقييد ما صدر منه ذلك اليوم فقال له انه من كتاب كذا وكتاب
كذا كتبا معروفة عندهم فعلم القاضي ان الحسن للشريف وأن
ذلك علم غير مكتسب وحدثني أبي حفظه الله
أن الخطيب الفقيه الشهير أبا عبد الله بن مرزوق كان يقول عند سفر
أبي عبد الله الى تونس لقد كرهت فراق أبي عبد الله ولكني أحمد
الله على رؤية أهل افريقية من بالمغرب وحدثني أن الشيخ
الفقيه الصالح أبا عمران موسى العبدوسي كبير فقهاء الفاسيين
كان يتحدث عن ما يصدر عن أبي عبد الله من تقييد أو فتوى فيعجب لنفسه
وكان أسن من أبي عبد الله رحمهما الله وحدثني أبي حفظه الله
أنه سمع الفقيه المحدث القاضي أبا علي منصور بن هدية القرشي
يقول كل فقيه في زماننا هذا أخذ ما قدر له من العلم ووقف إلا
أبو عبد الله الحسني فإن اجتهاده يزيد والله أعلم أين ينتهي
أمره

الورقة 11/ ظ من مخطوط مناقب سيدي أبي عبد الله الشريف

من تطلبه شهر سنة وما عبرتها إنما أنفق ما أنفق على طلب العلم من مال أبيه
كان أبوه أبو العباس رحمه الله يرتب له نفقة من ماله فيكتفي بها لكن
ولم ياخذ ما يرتب له أشياخه في مدارس فاس ولقد كنت
أراه يرتفق بقليل في رمضان وغيره، وربما اتخذ له أهله من أطايب
الطعام فيوضع بين يديه وهو مكب على النظر فلا يلتفت إليه ويتركه
حيث وضع ثم يتناول إليها السحور فيجدونه على حاله فيرفعون له
الطعام فيتركه حتى يطلع الفجر ويصبح مواصلا للصوم والنظر
وكان رحمه الله مقصور الغرض من [illegible] الرتب لو علم
أن الماء يشينه ما شربه وكانت القبلة فيه جميلة ونشيمة مكارم
صبغة يتعلق [illegible] والصديق على زهده وعفته وصدق لهجته
ويستنزل [illegible] والعاج في محبته وكان مثابرا على الخير مواظبا
على الفكر واقفا على الحدود مستسلما لرسوم العبودية كثير
الجد والجهد في امتثال الأوامر والنواهي لا يعبأ [illegible] أن الذي
شيء من أمور الدنيا في غالب أمره وكان مع رفعة منزلته
عند الملوك يتباعد عنهم مع شدة إقبالهم عليه وحرصهم على تقريبه
ولم يتول [illegible] أمرا من أمور دنياهم بل وقف مع العلم حيث وقف .:. ومنهم
عقبه وانطوى [illegible] مع تمكنه منهم .:. كان السلطان أبو
أبو سعيد رحمه الله يحبه حبا شديدا ولا أعلم فيه الا [illegible]

الورقة 38/ ظ من مخطوط مناقب سيدي أبي عبد الله الشريف

37

وأما قولهم إن المصنفين يصفون بسطرين الأقوال ويعتنون
بها ولم يعن ضابط منهم لصغار الأشكال ويعتبر أن يجمعوا على الخطأ بقصد
رد أجماله ثم تمييز فيه النكتة التي هي مستندهم لا الإجماع السكوتي
ويعني بالشرط إليه وأما ما أجاب به الغزالي فعجيب عند الفاضل
والله أعلم وبه التوفيق انتهى كلامه في الجوابين وهو لعمري
من أقوم وجوه التحقيق وأقوى أدلة الفقه الدقيق وأوضح وجوه
الشفاء على سوء فهم في تحقيق الطريق

أنباء أسانيد شريفة زهية
وتلامذته ومروياته وأما نقيته

كان رضي الله عنه من أعظم الناس عن غش النفس
بالوسواس الخناس كثير الشفقة على أهل البيت وغيرهم ظاهر الإمساك
عن ما يحصل بيده من الدنيا قليل التفكر في أمرها غير متعلق بها ولا
مستشرف لنيل ما فيها إنما كان أمله العلم وطالبه الحكمة
ومنتهى بغيته التفكر في أمر الله فلم يشغله عنه أهل ولا مال
حدثني شيخنا وبركتنا عبد الله ولده أنه بقي في بعض الأزمنة
التي كان يطلب فيها العلم نحو ستة أشهر لم ير أولاده فيها يقوم صحبة
بين يديه ... ليلا ... وحدثني
أبي حفظه الله أن أبا عبد الله يطول قراءته وكلفه العالم بالخير

الورقة 38/ ظ من مخطوط مناقب سيدي أبي عبد الله الشريف

3- الصـــور:

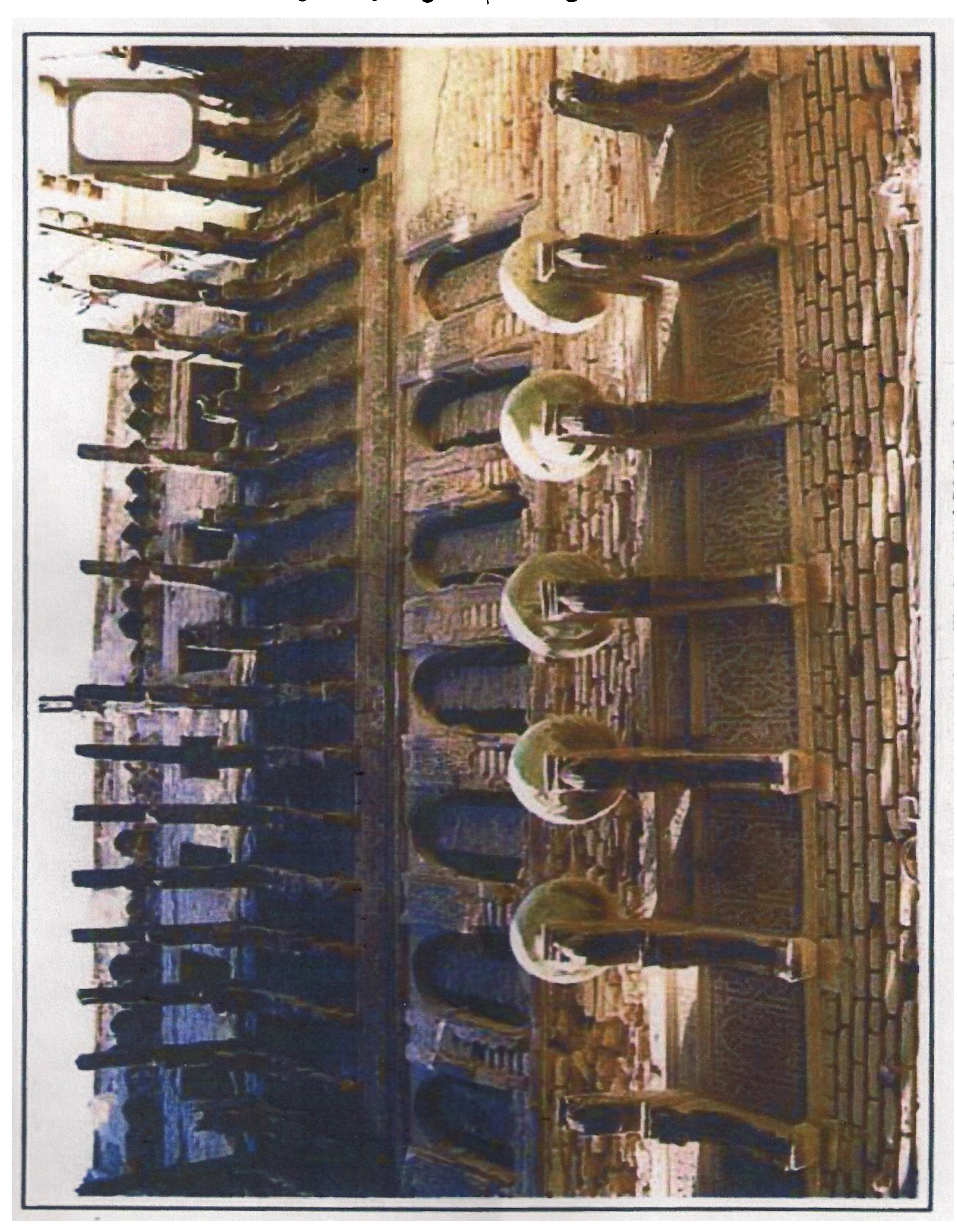


Pl. 11. Vestiges de la noria située entre le jardin *Djnân al-Sbîl*, le palais royal et Fès-Djedid.

Pl.10. Vestiges de la noria du jardin *Djnân al-Sbîl*

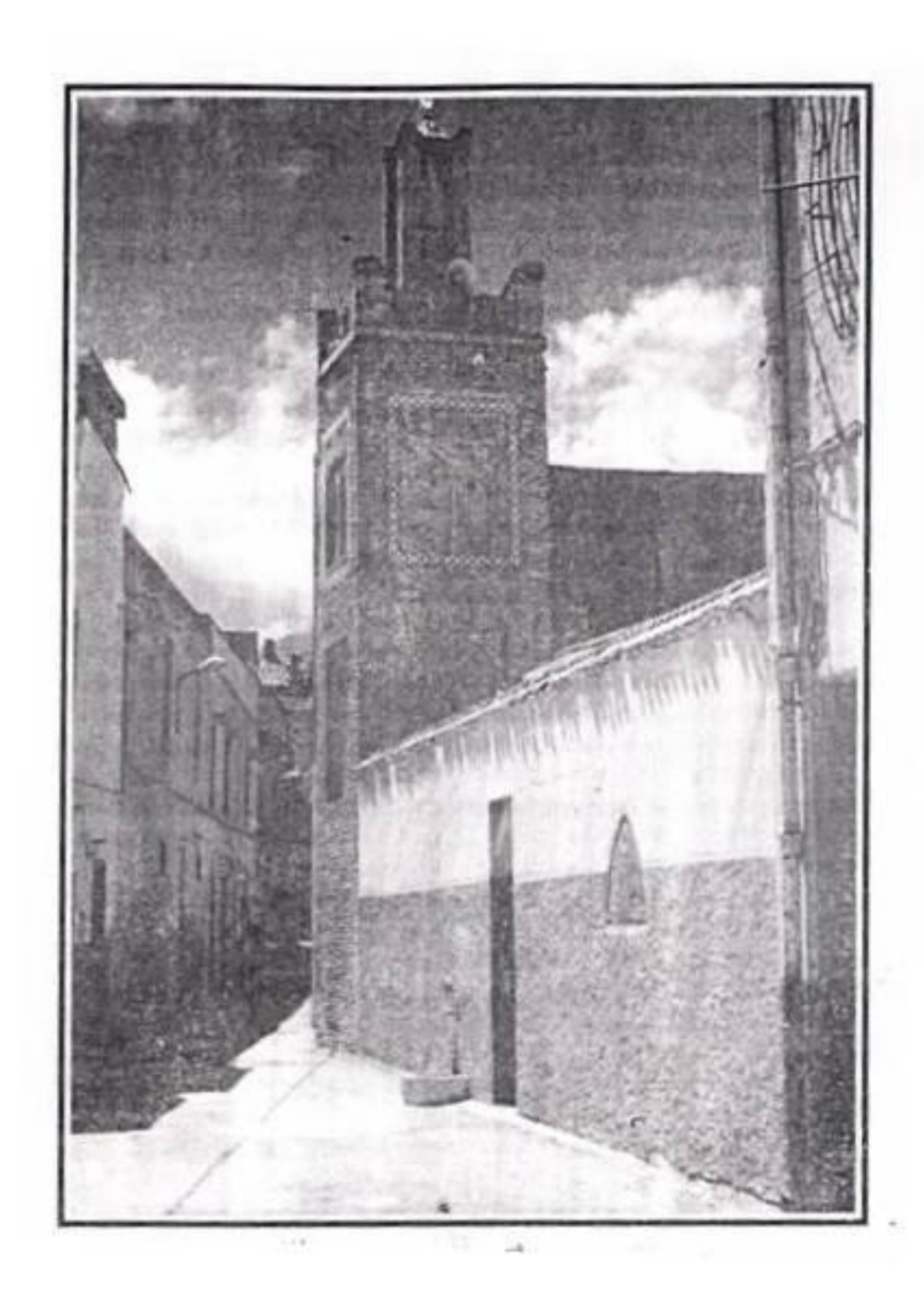
Tariq Madani, op, cit.

الساعة المائية لابن الفحام مقابل المدرسة البوعنانية



Tariq Madani, op, cit.

مسجد أولاد الإمام

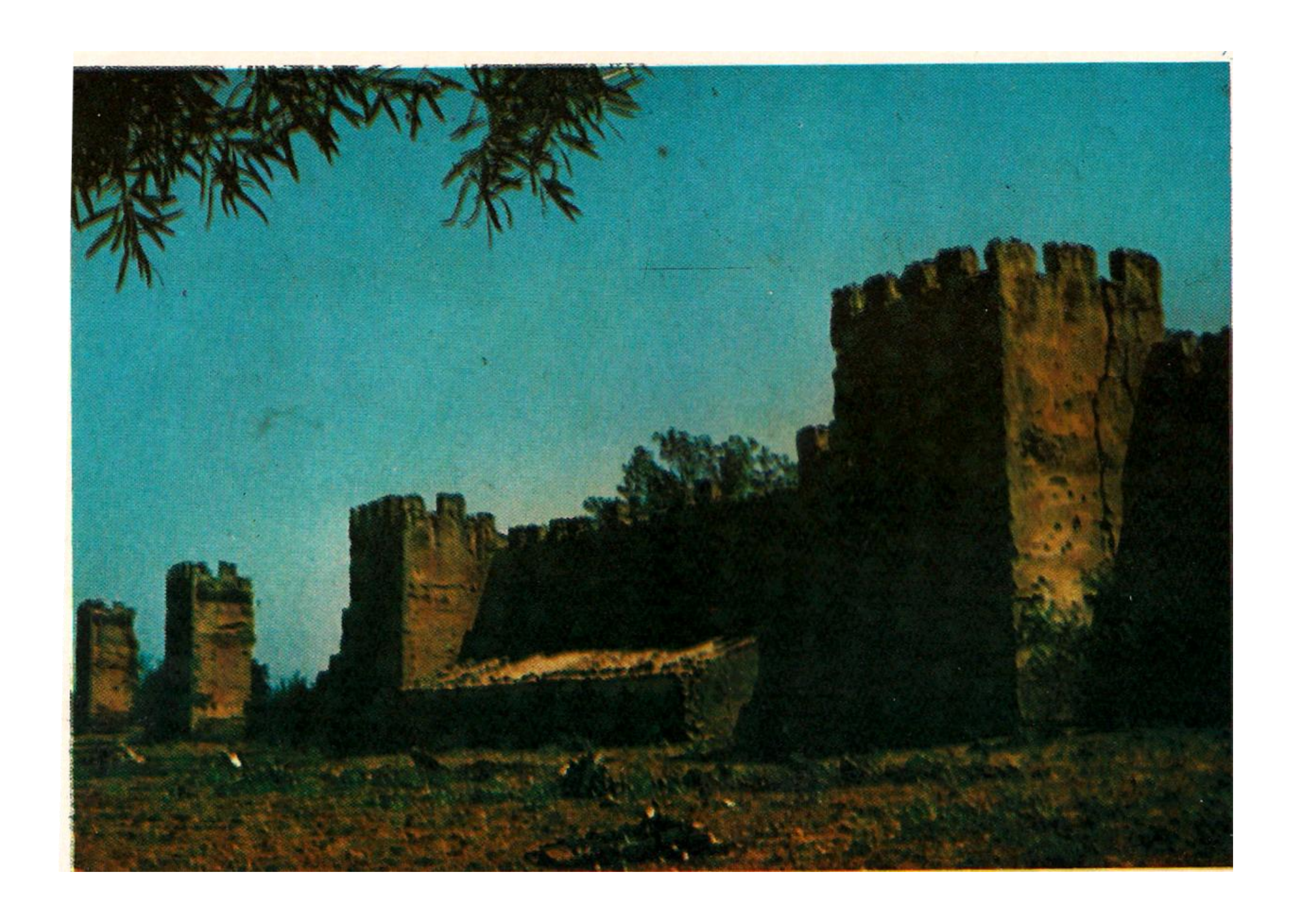


Hadj Omar Lachachi , op, cit, p. 132.

صومعة المنصورة

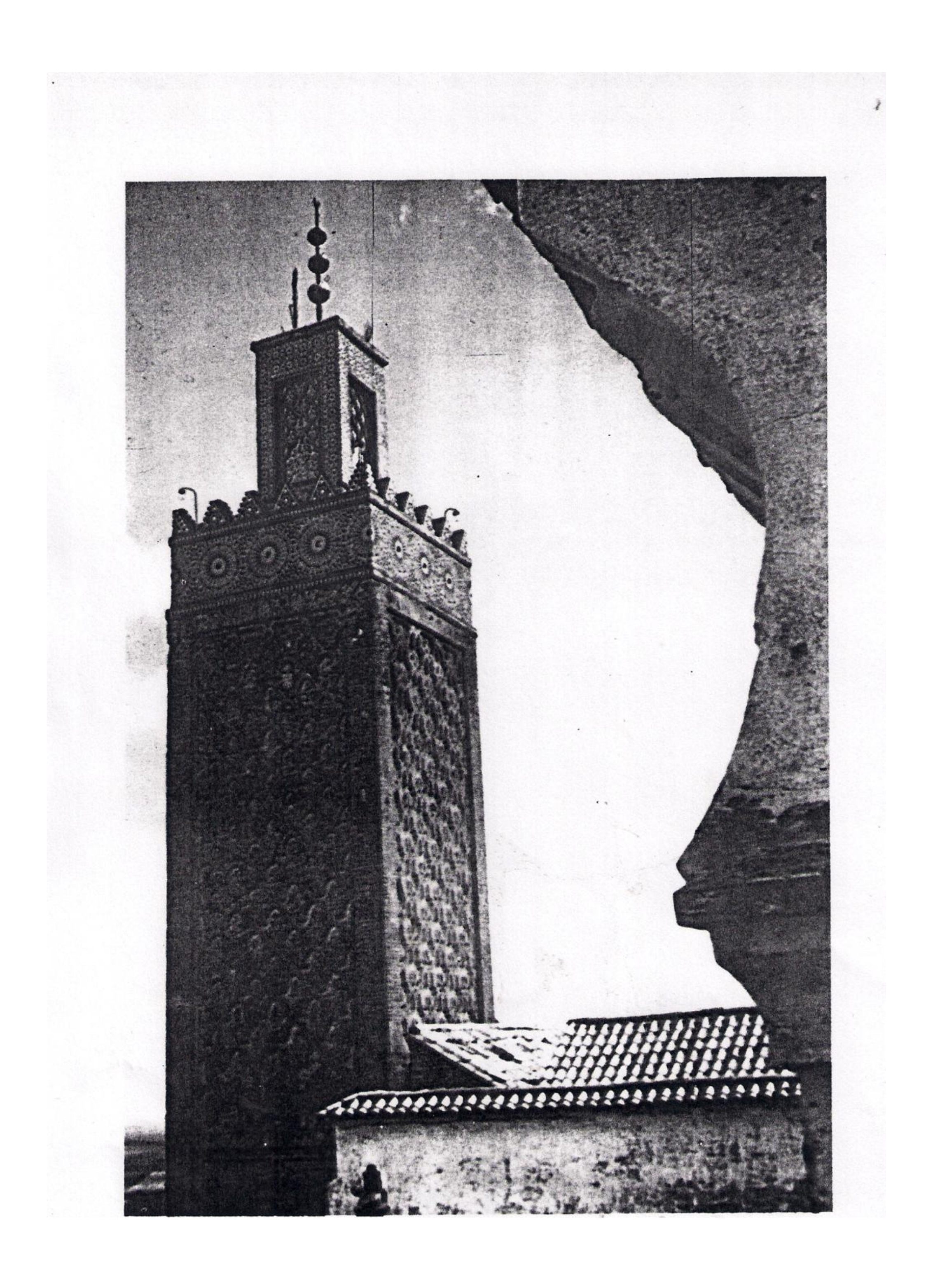


بعض الأطلال لأسوار مدينة المنصورة



عبد الحميد حاجيات، أبو حمو موسى الزياني...، ص.321.

مئذنة مسجد سيدي أبي مدين



عبد الحميد حاجيات، أبو حمو موسى الزياني...، ص.161.

قصر المشور من الداخل



المصادر والمراجع

أولا : المصادر

1- المصادر المخطوطة:

1 - الشريف التلمساني (ت: 771ه/1370م) ، روضة الأزهار في التعريف بآل محمد المختار صلى الله عليه وسلم ، مخطوط بالمكتبة الوطنية الجزائرية، رقم 2608.

2 - ابن مرزوق، أبو عبد الله علي بن محمد بن أحمد (ت: 842ه/ 1438م) ، نوازل ابن مرزوق، مخطوط بالمكتبة الوطنية الجزائرية، رقم 1342، 42 ورقة.

3 - مؤلف مجهول ،القول الأحوط فيما تداول من العلوم وكتبها بالمغربين الأقصى والأوسط ،مخطوط بالمكتبة الوطنية الجزائرية،رقم3185، 195ورقة.

2- المصادر المطبوعة:

4 - ابن الأحمر إسماعيل(ت: 807ه/1404م)، روضة النسرين في دولة بني مرين ، تحقيق: عبد الوهاب بن منصور، المكتبة الملكية، الرباط، 1382ه/1962م.

5 - الإدريسي أبو عبد الله الشريف (ت: 560ه/1164م) ، المغرب وأرض السودان ومصر والأندلس مأخوذة من كتاب نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، مطابع بريل، ليدن .Par :R.Dozy et M. J DEGOEJE, 1865

6 - الأنصاري أبو عبد الله محمد (ت: 894ه/1489م)، فهرست الرصاع ، تحقيق: محمد العنابي، المكتبة العتيقة، تونس، ب، ت.

7 - الأنصاري السبتي محمد بن القاسم ، اختصار الأخبار عما كان بثغر سبتة من سني الآثار، تحقيق: عبد الوهاب بن منصور،الطبعة الثانية، 1403ه/1983م.

8 - ابن بطوطة محمد بن عبد الله اللواتي الطنجي(ت: 776ه/1373م)، رحلة ابن بطوطة المسماة تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار،دار الكتاب اللبناني،بيروت،دار الكتاب المصري،القاهرة،ب،ت.

9 -البكري أبو عبيد الله (ت: 487ه/1094م)، المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب وهو جزء من كتاب المسالك والممالك، المطبعة الحكومية، الجزائر، 1274ه/1857م.

10 -التنبكتي أحمد بابا (ت: 1036ه/1627م)، نيل الابتهاج بتريز الديباج ، تحقيق: علي عمر، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 1423ه/ 2004م.

11 -(ـــــــــــــ)، كفاية المحتاج لمعرفة من ليس في الديباج، تحقيق: علي عمر، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة 1425ه/2004م.

12 -التنسي محمد بن عبد الله (ت: 899ه/1493م)، تاريخ بني زيان ملوك تلمسان مقتطف من نظم الدر والعقيان في بيان شرف بني زيان، تحقيق: محمود بوعياد، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1405ه/1985م.

13 -الجزنائي علي (كان حيا 766ه/1364م) ، جنى زهرة الآس في بناء مدينة فاس، تحقيق: عبد الوهاب بن منصور، الطبعة الثانية، 1411ه/1991م.

14 -ابن الخطيب لسان الدين (ت: 776ه/1374م) ، الإحاطة في أخبار غرناطة، تحقيق: محمد عبد الله عنان، مكتبة الخانجي، القاهرة 1393ه/1973م.

15 -(ـــــــــــــ)، اللمحة البدرية في الدولة النصرية، تحقيق: لجنة إحياء التراث العربي، منشورات دار الآفاق الجديدة، بيروت، الطبعة الثالثة،1400ه/1980م.

16 -ابن خلدون عبد الرحمن (ت: 808ه/1406م)، مقدمة ابن خلدون، تحقيق: خليل شحادة، دار الفكر، بيروت، 1428ه/2007م.

17 (ــــــــــــــــــ) ، العبر وديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، اعتنى به: خليل شحادة وراجعه: سهيل زكار، دار الفكر، بيروت، 1421ه/200م.

18 (ــــــــــــــــــ)، التعريف بابن خلدون ورحلته غربا وشرقا ،تحقيق:محمد ابن تاويت الطنجي، صدر عن وزارة الثقافة بمناسبة الجزائر عاصمة الثقافة العربية،الجزائر،1428ه/2007م.

19 ابن خلدون يحيى (ت: 780ه/1378م) ، بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد، تحقيق: عبد الحميد حاجيات، وزارة الثقافة، الجزائر، 1428ه/ 2007م.

20 ابن أبي دينار أبو عبد الله محمد بن القاسم(بعد 1092ه/1681م)، المؤنس في أخبار إفريقية وتونس، تحقيق: محمد شمام، المكتبة العتيقة، تونس، الطبعة الثالثة، 1387ه/ 1967م.

21 الداودي شمس الدين محمد بن علي ، طبقات المفسرين، تحقيق: محمد علي، مكتبة وهبة، مصر، 1392ه/ 1972م.

22 ابن أبي زرع علي الفاسي (ت بعد 712ه/ 1312م)، الذخيرة السنية في تاريخ الدولة المرينية، دار المنصور، الرباط، 1392ه/1972م.

23 (ــــــــــــــــــ)،الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، دار المنصور، الرباط 1393ه/1973م.

24 ابن سحنون محمد ، كتاب آداب المعلمين تحقيق: محمود عبد المولى، الشركة للنشر والتوزيع، الجزائر،الطبعة الثانية، 1401ه/1981م.

25 -الشريف التلمساني أبو عبد الله محمد (ت: 771ه/ 1359م)، مفتاح الوصول إلى بناء الفروع على الأصول، ويليه كتاب مثارات الغلط في الأدلة، تحقيق: محمد فركوس، المكتبة الملكية السعودية، مكتبة الريان، بيروت، 1419ه/ 1998م.

26 -ابن الشماع أبو عبد الله محمد ، الأدلة البينة النورانية في مفاخر الدولة الحفصية، تحقيق: الطاهر بن محمد المعموري، الدار العربية للكتاب، 1404ه/1984م.

27 -العبدري البلنسي (ت أواخر 7ه/ 13م)، الرحلة المغربية، تقديم:ط سعد بوفلاقة، مؤسسة بونة للبحوث والدراسات، الجزائر، 1428ه/2007م.

28 -العقباني أبو عبد الله محمد بن أحمد بن القاسم (ت: 871ه/ 1467م)، تحفة الناظر وغنية الذاكر في حفظ الشعائر وتغيير المناكر، تحقيق: علي الشنوفي، المطبعة الكاثوليكية، لبنان، 1967م.

29 -القلقشندي أبو العباس أحمد (ت: 821ه/ 1418م)، صبح الأعشى في صناعة الإنشا، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر، القاهرة، ب.ت.

30 -ابن القاضي أحمد المكناسي (ت: 1025ه/ 1616م)، جذوة الاقتباس في ذكر من حل من الأعلام مدينة فاس، دار المنصور، الرباط 1394ه/1974م.

31 -(ـــــــــــــ)، ذيل وفيات الأعيان المسمى درة الحجال في أسماء الرجال، تحقيق: محمد الأحمدي أبو النور، دار التراث، القاهرة المكتبة العتيقة، تونس، 1390ه/1970م.

32 - القلصادي أبو الحسن علي(ت: 891ه/ 1486م) ، رحلة القلصادي المسماة: تمهيد الطالب ومنتهى الراغب إلى أعلى المنازل والمناقب، تحقيق: محمد أبو الأجفان، الشركة التونسية للتوزيع، 1398ه/1978م.

33 - ابن قنفذ أبو العباس أحمد القسنطيني (ت: 809ه/ 1406م)، أنس الفقير وعز الحقير، اعتنى بنشره وتصحيحه: محمد الفاسي وأودلف فور، منشورات المركز الجامعي للبحث العلمي، كلية الآداب، جامعة محمد الخامس، الرباط، 1385ه/1965م،

34 - (ـــــــــــــــــ)، الفارسية في مبادئ الدولة الحفصية، تحقيق: محمد الشاذلي النيفر وعبد المجيد التركي، الدار التونسية للنشر، تونس، 1388ه/1968م.

35 - كربخال مارمول ، إفريقيا، ترجمه عن الفرنسية: محمد حجي وآخرون، مكتبة المعارف، المغرب، 1404ه/1984م.

36 - ليون الإفريقي الحسن بن محمد الوزان (ت بعد 957ه/ 1550م)، وصف إفريقيا، ترجمه عن الفرنسية: محمد حجي ومحمد الأخضر، دار الغرب الإسلامي، بيروت، الطبعة الثانية،1403ه/1983م.

37 - مؤلف مجهول (عاش ق 6ه/ 12م)، كتاب الاستبصار في عجائب الأمصار، تحقيق: سعد زغلول عبد الحميد، دار النشر المغربية، الدار البيضاء، 1405ه/1986م.

38 - مؤلف مجهول، الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية، تحقيق: سهيل زكار وعبد القادر زمامة، دار الرشاد الحديثة، الدار البيضاء، 1399ه/ 1979م.

39 - مؤلف مجهول، مفاخر البربر، تحقيق: عبد القادر بوباية، دار أبي الرقراق، الرباط، 1426ه/2005م.

40 - المجاري أبو عبد الله محمد ، برنامج المجاري، تحقيق: محمد أبو الأجفان، دار الغرب الإسلامي، بيروت ، 1402 ه/1982 م .

41 - المراكشي بن عبد الملك (ت: 669ه/1270م) ، المعجب في تلخيص أخبار المغرب، تحقيق: صلاح الدين الهواري، المكتبة العصرية بيروت، 1426ه/2006م.

42 - ابن مرزوق التلمساني أبو عبد الله محمد (ت: 781ه/1379م) ، المسند الصحيح الحسن في مآثر ومحاسن مولانا أبي الحسن، تحقيق: ماريا خيسوس بيغيرا، الشركة الوكنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1401ه/1981م.

43 - (ــــــــــــــ)، المناقب المرزوقية، تحقيق: سلوى الزاهري، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، 1429ه/2008م.

44 - ابن مريم التلمساني (ت بعد 1025ه/1616م)، البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر 1406ه/1986م.

45 - المغيلي المازوني أبو زكريا يحي (ت: 883ه/ 1478م) ، الدرر المكنونة في نوازل مازونة، تحقيق: حساني مختار، نشر مخبر المخطوطات قسم علم المكتبات كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة الجزائر، 1425ه/2004م.

46 - المقري أبو عبد الله محمد (ت: 759ه/1357م)، عمل من طب لمن حب، تحقيق: أبو الفضل عبد الإله، دار الكتب العلمية، بيروت، 1424ه/2004م.

47 - المقري أبو العباس أحمد (ت: 1041ه/1632م)، رحلة المقري إلى المغرب والمشرق، تحقيق: محمد بن معمر، مكتبة الرشاد، الجزائر، 1425ه/2004م.

48 - (ــــــــــــــ) ، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، تحقيق: إحسان عباس،دار صادر،بيروت 1408ه/1988م.

49 - (ــــــــــــــــ) ، أزهار الرياض في أخبار عياض، تحقيق: مصطفى السقا وآخرون، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر القاهرة 1358ه/1939م، الجزء الأول.

50 - (ــــــــــــــــ)،أزهار الرياض في أخبار عياض، تحقيق: سعيد أحمد أعراب وعبد السلام الهراس، صندوق إحياء التراث الإسلامي، 1400ه/1980م، الجزء الخامس.

51 - المقريزي أبو العباس (ت: 845ه/1442م) ، الخطط المقريزية، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة 1378ه/1978م.

52 - النباهي المالقي أبو الحسن (كان حيا 793ه/ 1390م) ، المرقبة العليا فيمن يستحق القضاء والفتيا، منشورات دار الآفاق الجديدة، بيروت، الطبعة الخامسة، 1403ه/1983م.

53 - النميري بن الحاج (ت بعد 774ه/1373م) ، فيض العباب وإفاضة قداح الآداب في الحركة السعيدة إلى قسنطينة والزاب، تحقيق: محمد بن شقرون، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1412ه/1990م.

54 - الونشريسي أبو العباس أحمد (ت: 914ه/1511م) ، المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوى علماء إفريقيا والأندلس والمغرب، تحقيق: محمد حجي وآخرون، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، الرباط، 1403ه/1983م.

ثانيا – المراجــع:

55 - أبو الأجفان محمد عبد الهادي ، أبو عبد الله محمد المقري التلمساني، الدار العربية للكتاب، تونس، 1408ه/1988م.

56 - اسكندر محمد المختار، المفسرون الجزائريون عبر القرون رواية ودراية من القرن الثاني الهجري إلى القرن الرابع عشر، دحلب، الجزائر، ب.ت.

57 - بشارة أنطون، جدول السنين الهجرية وما يوافقها من السنين الميلادية، دار المشرق، بيروت، 1418ه/ 1997م.

58 - برونشيفك روبار ، تاريخ إفريقية في العهد الحفصي من القرن 13 إلى القرن 15، ترجمة: حمادي الساحلي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1406ه/1986م.

59 - بل ألفرد ، الفرق الإسلامية في الشمال الإفريقي من الفتح العربي حتى اليوم، ترجمه عن الفرنسية: عبد الرحمن بدوي، دار الغرب الإسلامي، بيروت،الطبعة الثانية، 1401ه/1981م.

60 - بلخير عثمان، البعد التتزيلي في التنظير الأصولي عند الإمام الشطبي، دار ابن حزم، بيروت، 1430ه/2009م.

61 - بلعربي خالد، الدولة الزيانية في عهد يغمراسن دراسة تاريخية وحضارية 633-681ه/ 1235- 1282م، مطبعة R.N تلمسان، 1426ه/ 2005م.

62 - بلغيث محمد الأمين ، النظرية السياسية عند المرادي وأثرها في المغرب والأندلس، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر 1410ه/1989م.

63 - بوداود عبيد ، ظاهرة التصوف في المغرب الأوسط ما بين القرنيين السابع والتاسع الهجريين (ق 13-15م)، دار الغرب وهران، 1424ه/2003م.

64 - بورويبة رشيد ، الجزائر في التاريخ من الفتح إلى بداية العهد العثماني، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1404ه/ 1984م.

65 - بوعزيز يحيى ،أعلام الفكر والثقافة في الجزائر المحروسة،دار الغرب الإسلامي، بيروت،1417ه/1995م.

66 - بوعياد محمود ، جوانب من الحياة في المغرب الأوسط في القرن التاسع الهجري (15م)، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1402ه/1982م.

67 - بن بية محمد محمود عبد الله ، الأثر السياسي للعلماء في عصر المرابطين، دار الأندلس الخضراء، جدة /دار ابن حزم، بيروت، 1421ه/2000م.

68 - تركي عبد المجيد ، قضايا ثقافية من تاريخ الغرب الإسلامي نصوص ودراسات، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1409ه/1988م.

69 - توات محمد الطاهر ، أدب الرسائل في المغرب العربي في القرنيين السابع والثامن، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1414ه/1993م.

70 - الجحمة نواف عبد العزيز ، رحالة الغرب الإسلامي وصورة المشرق العربي من القرن السادس إلى القرن الثامن الهجري، دار السويدي، الإمارات العربية المتحدة، 1429ه/2008م.

71 - جرجي زيدان، تاريخ التمدن الإسلامي، دار مكتبة الحياة، بيروت، ب.ت.

72 - حاجيات عبد الحميد ، أبو حمو موسى الزياني حياته وآثاره، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1394ه/1974م.

73 - حاجيات عبد الحميد وآخرون، كتاب مرجعي حول تاريخ الجزائر في العصر الوسيط، منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954م، الجزائر، طبعة خاصة، 14ه/2007م.

74 - حاجي خليفة مصطفى بن عبد الله، كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، دار إحياء التراث العربي، لبنان، ب.ت.

75 - الحجوي محمد بن الحسن ، الفكر السامي في تاريخ الفقه الإسلامي، مطبعة النهضة، تونس، 1335ه/1916م.

76 - حركات إبراهيم ، المغرب عبر التاريخ من بداية المرينيين إلى نهاية السعديين، دار الرشاد الحديثة، الدار البيضاء، 1398ه/1978م.

77 - الحريري محمد عيسى ، تاريخ المغرب الإسلامي والأندلس في العصر المريني (610ه/1213م) / (869ه/1465م)، دار القلم الكويت، الطبعة الثانية، 1407ه/1987م.

78 - بوزياني الدراجي، نظم الحكم في دولة بني عبد الواد الزيانية، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1414ه/1993م.

79 - بن الذيب عيسى وآخرون، الحواضر والمراكز الثقافية في الجزائر خلال العصر الوسيط، منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954م، الجزائر، طبعة خاصة وزارة المجاهدين، 1428ه/2007م.

80 - رزوق محمد ، التواصل الثقافي بين أقطار المغرب العربي تأصيل تاريخي: ضمن دراسات في تاريخ المغرب، إفريقيا الشرق 1412ه/1991م.

81 - الريسوني أحمد، نظرية المقاصد عند الإمام الشاطبي، الدار العلمية للكتاب الإسلامي، الرياض، الطبعة الرابعة، 1416ه/ 1995م.

82 - زغلول سعد عبد الحميد، العمارة والفنون في دولة الإسلام، منشأة المعارف الإسكندرية 1406ه/1986م .

83 - سعد الله أبو القاسم، تاريخ الجزائر الثقافي من القرن العاشر إلى القرن الرابع عشر الهجري (16-20م)، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1401ه/1981م.

84 - السلاوي الناصري أبو العباس أحمد، الاستقصاء لأخبار دول المغرب الأقصى، تحقيق: محمد عثمان، دار الكتب العلمية، بيروت، 1428ه/ 2007م.

85 - ابن سودة عبد السلام بن عبد القادر، دليل مؤرخ المغرب الأقصى، دار الفكر ، بيروت، 1418ه/ 1997م.

86 - السيد أبو مصطفى كمال، جوانب من الحياة الاجتماعية والاقتصادية والدينية والعلمية في المغرب الإسلامي من خلال نوازل وفتاوى المعيار المعرب للونشريسي، مركز الإسكندرية للكتاب، الإسكندرية، 1418ه/ 1997م.

87 - شاوش محمد بن رمضان وبن حمدان الغوتي، الأدب العربي الجزائري عبر النصوص، طبع هـــ. داود بريكسي، تلمسان، 1422ه/ 2001م.

88 - ابن شقرون محمد بن أحمد ،مظاهر الثقافة المغربية،دار الثقافة ،الدار البيضاء،1406ه/1985م.

89 - الشوابكة نوال عبد الرحمن ، أدب الرحلات الأندلسية والمغربية حت نهاية القرن التاسع الهجري، دار المأمون، الأردن، 1429ه/2008م.

90 - الصعيدي عبد الحكم عبد اللطيف ، الرحلة في الإسلام أنواعها وآدابها، مكتبة الدار العربية للكتاب، القاهرة، 1417ه/1996م.

91 - أبو ضيف مصطفى ، القبائل العربية في المغرب في عصري الموحدين وبني مرين، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1402ه/1982م.

92 - الطمار محمد ، الروابط الثقافية بين الجزائر والخارج، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1403ه/1983م.

93 - عاشور مجدي محمد، الثابت والمتغير في فكر الإمام أبي إسحاق الشاطبي ، دار البحوث للدراسات الإسلامية وإحياء التراث، دبي، 1423ه/ 2002م.

94 - عبد الكريم يوسف جودت ، الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية في المغرب الأوسط خلال القرنيين الثالث والرابع الهجريين (9-10)م، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1413ه/1992م.

95 - عبدلي لخضر ، التاريخ السياسي لمملكة تلمسان في عهد بني زيان، ديوان المطبوعات الجامعية، وهران، 1428ه/ 2007م.

96 - العروسي المطوي محمد ، السلطنة الحفصية تاريخها السياسي ودورها في المغرب الإسلامي، دار الغرب الإسلامي بيروت، 1406ه/1986م.

97 - عزاوي أحمد ، الغرب الإسلامي خلال القرنين (7و8ه)، مطبعة ربانيت، الرباط، 1427ه/2006م.

98 - فيلالي عبد العزيز ، تلمسان في العهد الزياني موقع للنشر، الجزائر، 1423ه/ 2002 م.

99 - قبول أبو سليمان عبد الكريم ، الاختصار والمختصرات في المذهب المالكي، دار الفجر، الجزائر، 1427ه/2006م.

100 -بن قربة صالح ، المئذنة المغربية الأندلسية في العصور الوسطى، الشركة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1406ه/1986م.

101 -بن قربة صالح وآخرون، تاريخ الجزائر في العصر الوسيط من خلال المصادر، منشورات المركز الوطني للدراسات والبحوث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954م، طبعة خاصة ، وزارة المجاهدين، الجزائر، 1428ه/2007م.

102 -الكتاني عبد الحي بن عبد الكبير، فهرس الفهارس والأثبات ومعجم المعاجم والمشيخات والمسلسلات، دار الغرب الإسلامي بيروت، الطبعة الثانية، 1402ه/ 1982م.

103 -كنون عبد الله ، النبوغ المغربي في الأدب العربي، الدار البيضاء، ب.ت.

104 -لقبال موسى ، الحياة اليومية لمجتمع المدينة الإسلامية من خلال نشأة وتطور نظام الحسبة المذهبية في المغرب العربي، دار هومة، الجزائر، الطبعة الثانية، 1423ه/2002م.

105 -لعرج عبد العزيز، مدينة المنصورة المرينية بتلمسان، زهراء الشرق، 2002م، القاهرة، 1427ه/ 2006م.

106 -لوتورنو روجيه، فاس في عصر بني مرين، ترجمة: نقولا زيادة، مؤسسة فرنكلين للطباعة والنشر، بيويورك، مكتبة لبنان، بيروت، 1387ه/1967م.

107 -مارسي جورج، مدن الفن الشهيرة: تلمسان، ترجمة: سعيد دحماني دار النشر التل، الجزائر ، 1425ه/2004م.

108 -محمد بن محمد مخلوف ،شجرة النور الزكية في طبقات المالكية،دار الكتاب العربي، بيروت،ب.ت.

109 -المراغي عبد الله مصطفى، الفتح المبين في طبقات الأصوليين، طبع: عبد الحميد حنفي، مصر، ب.ت.

110 -المنوني محمد ، ورقات عن حضارة المرينيين، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، الطبعة الثالثة ، 1420ه/2000م.

111 -(ــــــــــــــــ)، تاريخ الوراقة المغربية صناعة المخطوط المغربي من العصر الوسيط إلى الفترة المعاصرة، جامعة محمد الخامس، الرباط، 1412ه/ 1991م.

112 -(ــــــــــــــــ)، حضارة الموحدين، دار توبقال، الدار البيضاء 1410ه/ 1989م.

113 -نواب عواطف محمد يوسف ، الرحلات المغربية والأندلسية مصدر من مصادر تاريخ الحجاز في القرنين السابع والثامن الهجريين، مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض، 1417ه/1996م.

114 - نويهض عادل ، معجم أعلام الجزائر، مؤسسة نويهض الثقافية، بيروت، الطبعة الثالثة ، 1403ه/1983م.

115 -هلال عمار ،العلماء الجزائريين في البلدان العربية الإسلامية،فيما بين القرنين التاسع والعشرين ميلادي (3-41ه)، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1416ه/1995.

116 -الوزير السراج محمد بن محمد الأندلسي، الحلل السندسية في الأخبار التونسية، تحقيق: محمد الحبيب الهيلة، دار الغرب الإسلامي، بيروت 1405ه/1985م.

ثالثا- الرسائل والأطروحات:

117 -بابا خويا الحاج المهدي، الإمام أبو عبد الله الشريف التلمساني (ت 771ه) وجهوده الأصولية الفقهية، رسالة لنيل دبلوم الدراسات العليا في الدراسات الإسلامية، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة فاس، 1414ه/1993م.

118 -بودواية مبخوت ، العلاقات الثقافية والتجارية بين المغرب الأوسط والسودات الغربي في عهد دولة بني زيان، أطروحة دكتوراه دولة في التاريخ الإسلامي، قسم التاريخ، جامعة تلمسان، 1427ه/2006م.

119 -بوشامة عاشور ، علاقات الدولة الحفصية مع دول المغرب والأندلس 626-981ه/1228-1573م رسالة ماجستير في التاريخ الإسلامي، قسم التاريخ، جامعة القاهرة، 1412ه/1991م.

120 -بوشقيف محمد ، تطور العلوم ببلاد المغرب الأوسط خلال القرنيين الثامن والتاسع الهجريين (14و15ه)، أطروحة دكتوراه في التاريخ الوسيط، قسم التاريخ والآثار، جامعة تلمسان،1432ه/2011م.

121 -خطيف صابرة ، فقهاء تلمسان والسلطة الزيانية (633-791ه/1235-1388م) الجهاز الديني والتعليمي، رسالة ماجستير في التاريخ الإسلامي الوسيط، قسم التاريخ، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، قسنطينة، 1425ه/2004م.

122 -بن داود نصر الدين ، بيوتات العلماء بتلمسان من القرن 7ه-13م إلى القرن 10ه-16م، أطروحة دكتوراه في التاريخ الوسيط، قسم التاريخ وعلم الآثار، شعبة التاريخ، جامعة تلمسان، 1431ه/2010م.

123 -عبدلي لخضر ، الحياة الثقافية بالمغرب الأوسط في عهد بني زيان 633ه/962م/1235-1554م، أطروحة دكتوراه دولة في التاريخ الإسلامي، قسم التاريخ، جامعة تلمسان 1426ه/2005م.

124 -لعرج عبد العزيز ، المباني المرينية في إمارة تلمسان الزيانية دراسة أثرية ومعمارية وفنية، أطروحة دكتوراه دولة في الآثار الإسلامية، معهد الآثار، جامعة الجزائر 1420ه/1999م.

125 -لقريز العربي ، مدارس السلطان أبي الحسن علي مدرسة سيدي أبو مدين نموذجا دراسة أثرية وفنية، رسالة ماجستير كلية الآداب والعلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية، قسم الثقافة الشعبية، جامعة تلمسان، 1422ه/2001م.

126 -ولد خسال سليمان ،جهود فقهاء المغرب العربي في بناء النظام السياسي الإسلامي بين سنة 633ه/922ه، أطروحة دكتوراه، كلية العلوم الإسلامية، جامعة الجزائر، 1429ه/2008 م.

رابعا- المجلات والدوريات:

127 -بحاز إبراهيم: " مدخل إلى القضاء عند الزيانيين" في مجلة: الوعي، صدرت عن دار الوعي في إطار تلمسان عاصمة الثقافة الإسلامية 1432ه/ 2011م، العدد المزدوج (3-4)، جمادى الثانية / ماي، 1432ه / 2011م، ص. 62- 66.

128 -بدوي أحمد جلول، " الشريف أبو عبد الله التلمساني " في مجلة: الأصالة، صدرت عن وزارة التعليم الأصلي والشؤون الدينية، العدد الرابع، شعبنان أكتوبر، 1391ه/ 1971م، الجزائر، ص. 48- 55.

129 -بلحاج معروف ، "مدينة منصورة الأثرية من خلال المصادر التاريخية" في حولية: المؤرخ، يصدرها اتحاد المؤرخين الجزائريين، العدد الخامس، جوان 1426ه/ 2005م، الجزائر، ص 65.

130 -بودواية مبخوت:" الحياة الاقتصادية بالمغر الأوسط في العهد الزياني" في دورية: قرطاس الدراسات الحضارية والفكرية ، تصدر عن مخبر الدراسات الحضارية والفكرية، العدد التجريبي، ديسمبر، 1429ه/2008م، ص55.

131 -بورويبة رشيد: " جولة عبر مساجد تلمسان" في مجلة: الأصالة ،صدرت عن وزارة التعليم الأصلي والشؤون الدينية، العدد 26 ، 1395ه/1975م،ص 171- 182.

132 - بوعزيز يحيى: " الأوضاع السياسية والثقافية في عصر الشيخين محمد ابن مرزوق وأحمد بن قنفذ الخطيب" في مجلة: دراسات جزائرية، العدد الأول، جوان، 1418ه/ 1997م.

133 -بوعياد محمود: " مخطوطات لم تكتشف زهر البستان في دولة بني زيان" في مجلة: الثقافة، صدرت عن وزارة الإعلام والثقافة، العدد 13 صفر/ مارس 1393ه/ 1973م، ص. 55- 66.

134 -بومهرة عبد العزيز :"التعليم في المغرب والأندلس في القرن الثامن الهجري" في مجلة: التواصل، العدد11 ديسمبر 1424ه/2003م، ص.127- 140.

135 -بونار رابح : "عبقرية المشداليين العلمية في بجاية على عهدها الإسلامي الزاهر" في مجلة: الأصالة، العد 19، ربيع الأول/ أفريل، 1394ه/1974م، الجزائر،ص. 303- 316.

136 -(ـــــــــ): " القاضي سعيد العقباني التلمساني " في مجلة: الأصالة، العدد الخامس، ذو الحجة / جانفي، 1391ه/1973م، ص. 65-72.

137 -عبد الحميد حاجيات: "تلمسان مركز الإشعاع الثقافي في المغرب الأوسط " في مجلة: الحضارة الإسلامية ، صدرت عن المعهد الوطني للتعليم العالي للحضارة الإسلامية، العدد الأول، شوال/أفريل 1414ه/1993م، وهران،ص . 35- 46.

138 -(ـــــــــــــــــــــــ):" الحياة الثقافية بالمغرب الأوسط في العصر السنوسي" في مجلة: الثقافة، تصدر عن وزارة الثقافة والاتصال، العدد 22، 1418ه/1997م، الجزائر، ص. 19- 26.

139 -(ـــــــــــــــــــــــ) :" تاريخ دولة الأدارسة من خلال كتاب نظم الدر والعقيان لأبي عبد الله التنسي المتوفى سنة 899ه/1494م" في مجلة: التاريخ، يصدرها المركز الوطني للدراسات التاريخية، العدد التاسع، 1400ه/1980م، الجزائر.

140 -(ـــــــــــــــــــــــ):" أبو حمو موسى الثاني سياسته وأدبه" في مجلة: تاريخ وحضارة المغرب، كلية الآداب والعلوم الإنسانية جامعة الجزائر، العدد الخامس، 1388ه/1968م، الجزائر، ص.10- 29.

141 -(ـــــــــــــــــــــــ):" الحياة الفكرية بتلمسان في عهد بني زيان" في مجلة: الأصالة، العدد 26 ، أوت، 1395ه/1975م،ص. 136- 156.

142 -(ـــــــــــــــــــــــ):" نظرية ابن ظفر الصقاي في أخلاق الملوك (من خلال كتاب سلوان المطاع) " في مجلة: الثقافة، العدد 92، جمادى الثانية، رجب/ مارس أفريل ، 1406ه/1986م.

143 -حركات إبراهيم ، الصلات الفكرية بين تلمسان والمغرب، في مجلة: الأصالة، العدد 26 1395ه/1975م، الجزائر، ص. 183- 194.

144 -حميد عبد العزيز: "مجالس وقاعات الاستقبال في القصور الإسلامية حتى نهاية القرن الثاني هجري" في مجلة: المورد، العدد32، 1426ه/2005م.

145 -ابن الخياط نزهة: "مكتبة جامع القرويين عبر التاريخ" في المجلة المغربية للتوثيق والمعلومات، منشورات مركز البحوث في علم المكتبات والمعلومات، العدد الثالث، مارس 1405ه/1985م، تونس، ص. 9- 25.

146 -محمد الشريف سيدي موسى: " التربية والتعليم بالجزائر في العصر الوسيط" في حولية: المؤرخ، العدد الثاني، 1423ه/ 2002م، ص. 91- 100.

147 -الصمدي محمد:" حركة التجارة البحرية بين المغرب والأندلس أيام المرابطين" ضمن ندوة: دور مضيق جبل طارق في علاقات المغر الدولية، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة عبد المالك السعدي، تطوان 27-28 فبراير- 1مارس 2001م.

148 -الصمدي خالد :"مجالس الحديث بقرطبة خلال القرن الخامس الهجري"في مجلة: الحضارة الإسلامية ،صدرت عن المعهد الوطني للتعليم العالي للحضارة الإسلامية،العدد الأول ، جمادى الأولى/ نوفمبر، 1414ه/ 1993م، وهران، ص. 135- 163.

149 -عزوزي حسن : "التأليف في القراءات القرآنية وخصائصه بالمغرب والأندلس في القرن الثامن الهجري " في مجلة: الحضارة الإسلامية، العدد الأول، 1414ه/ 1993م،ص.239- 274.

150 -العمراني عبد الله: "البلاط المغربي في المجالس الروحي والزمني" في مجلة: دعوة الحق،صدرت عن وزارة عموم الأوقاف والشؤون الإسلامية بالمملكة المغربية،العدد الثالث، محرم،مارس،1391ه/1971م.

151 -ابن عميرة لطيفة:" الأوضاع الاقتصادية في الإمارة الزيانية "في مجلة: الدراسات التاريخية، معهد التاريخ، جامعة الجزائر، العدد الثامن، 1415ه/1994م،ص. 71- 77.

152 -قريان عبد الجليل ، "حركة التآليف بتلمسان في العهد الزياني 633-962ه/1235-1554م" في دورية: قرطاس الدراسات الحضارية والفكرية ، تصدر عن مخبر الدراسات الحضارية والفكرية كلية العلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية جامعة تلمسان العدد التجريبي، ديسمبر، 1429ه/2008م، ص.151- 176.

153 -لعرج عبد العزيز:" المساجد الزيانية بتلمسان عمارتها وخصائصها " في حوليات جامعة تلمسان، العدد السادس، ديوان المطبوعات الجامعية، 1413ه/ 1992م، الجزائر، ص . 101- 122.

154 -(ـــــــــــــ): "العمران الإسلامي وعمارته السكنية، قيم دينية ودلالات اجتماعية" في حولية: المؤرخ، تصدر عن اتحاد المؤرخين الجزائريين، العدد (3-4)، 1426ه/2005م، الجزائر ،ص. 69- 97.

155 -(ـــــــــــــ):" تلمسان عمرانها وعماراتها الدينية" في مجلة: الوعي، تصدر في إطار تلمسان عاصمة الثقافة الإسلامية 1432ه/ 2011م، العدد المزدوج (3-4)، جمادى الثانية / ماي 1432ه/2011م، الجزائر، ص. 22- 35.

156 -مجاني بوبة: "تاريخ أسرة المرازقة من خلال مخطوط لأبي عبد الله محمد بن احمد بن مرزوق المعروف بالخطيب والجد والملقب بشمس الدين (ت 781ه/1476-1476-1477م)" في مجلة: حوليات، يصدرها المتحف الوطني للآثار،العدد الثامن، 1420ه/1999م ، الجزائر، ص.126- 134.

157 -مشنان محمد :" المؤسسة العلمية الثقافية في تلمسان الزيانية" في مجلة: رسالة المسجد، تصدر عن وزارة الشؤون الدينية والأوقاف، العدد التجريبي، جمادى الأول/جويلية، 1424ه/2003م، الجزائر،ص. 56- 62.

158 -ابن معمر محمد: "مركز تلمسان الثقافي في أجادير الإدريسية إلى تاجرارت المرابطية" في حولية: المؤرخ ، يصدرها اتحاد المؤرخين الجزائريين، العدد (3-4)، 2005م، ص. 99- 114.

مكيوي محمد : "المؤسسات التعليمية في العهد الزياني القرن 8ه/14م" في مجلة: الفكر الجزائري، يصدرها مخبر المرجعيات الفلسفية والفنية للتفكير البلاغي والنقدي، العدد الرابع، 1430ه/2009م، الجزائر، ص. 91-107.

خامسا- المراجع باللغة الأجنبية:

159- Barges J ,J,L, Complément de l’histoire des Béni Zeiyan rois de Tlemcen,Paris,1407/1887.

160- Bourouiba Rachid ,L’art religieux musulman en Algérie S.N.E.D,Alger,1983.

161- Brosselard (ch) : « les inscriptions arabes de Tlemcen », revue Africaine, 3^{esme} année, N^{0} 14 Décembre 1858 P83.

162- Dhina Atallah , Les états de l’occident musulman aux XIII , XIU et XU siècles O.P.U, Alger, S,D.

163- Hajiat Abde Lhamid, le maghreb central sous le règne du sultan Ziyanide Abou Hammou Mousa II760-91/1359-89, édition Errached, Algérie, 1430/2009.

164- Lachachi Hadj Omar, Le passe prestigieux de Tlemcen, édition Ibn Khaldoun, Tlemcen, 2002.

165- Madani Tariq, L’eau dans le monde musulman médiéval l’exemple de Fés (Maroc) et de sa région, thèse pour obtenir le grade de docteur de l’université Lyon II en histoire, 2003.

سادسا- الوثائق الالكترونية:

166 -أحمد بن يحيى عبد الرحمن بن أبي عبد الله الشريف التلمساني، مجموع فيه مناقب سيدي أبي عبد الله الشريف وولديه سيدي عبد الله الغريق والولي الصالح سيدي أبي يحيى عبد الرحمن، مخطوط بمؤسسة الملك عبد العزيز آل سعود، الدار البيضاء، رقم 314، من الموقع: www.fondation.org.ma

167 -بودواية مبخوت وبكاي هوارية : "العلاقات الثقافية بين الدولتين الزيانية والمرينية خلال القرنيين 7-9ه" قسم التاريخ ، جامعة تلمسان من الموقع: www.Fastat.com تاريخ الاضطلاع: 25 جمادي 11431ه/10 ماي 2010م.

الفهارس

1 – فهرس الأماكن

2 – فهرس الأعلام

3 – فهرس المحتويات

فهرس الأماكن

فهرس الأعلام

(ع)

(ق)

(م)

(ن)

(ي)

الفصل الثالث: أدوار ومكانة علماء تلمسان الملحقين بالمجالس العلمية لسلاطين بني مرين

ملخص:

موضوع هذه الدراسة يتعلق بتلك المجالس التي عقدها سلاطين بني مرين في قصورهم، وحرصوا على أن يحضرها أكبر عدد من العلماء من سائر أقطار العالم الإسلامي، بما فيهم علماء تلمسان الذين كانت لهم مكانة خاصة لدى أولئك السلاطين، لدورهم الكبير في تفعيل الحركة العلمية في بلادهم، وشهد القرن الثامن الهجري/ 14 م ذروة المنافسة بين البلاطين الزياني والمريني حول استقطاب علماء تلمسان.

الكلمات المفتاحية:

العلماء- تلمسان- السلاطين- المجالس العلمية- المكانة.

Résumé :

Cette étude est sur les conseils organisés par les sultans Mérinides dans leurs palais. C'est avec ardeur et enthousiasme que ses derniers ont fait pour qu'assistent à leurs assemblées un grand nombre de savants des pays du monde islamique y compris les savants de Tlemcen qui avaient une place particulière chez les sultans grâce à leur grand rôle pour actionner le mouvement scientifique dans leurs pays. Et le huitième siècle de l'hégire quatorzième siècle après Jésus , a connu le sommet de la concurrence entre les deux palais des Zianides et les Mérinides tout autour de la polarisation des savants Tlemceniens.

Mots clés : les savants- Tlemcen – Fès – les sultans – le conseil scientifique – le rang.

Summary :

The subject of this study concerns councils organized by the sultans Merinedes in their palaces, and they do their best to attend the largest number of scientist from all over the Islamic world.. Tlemcen scientist were among them. These latter had a great rank of those sultans due to there great role to the activation of scientific movement in their countries and the competition between Zianides and Merinides palaces reached its peak in eight century.

Key words:

Scientist – Tlemcen – Fes – the sultans – scientific councils – The rank.